العتبة العلوية المقدسة
IMAM ALI HOLY SHRINE

السنة التاسعة عشر العدد 199
شهر شعبان 1447هـ - 2026م

الولاية

مجلة علمية ثقافية شهرية تصدر عن العتبة العلوية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية





حـدث في مثـل هذا الشـهر

أبرز الأحداث التاريخية
لشهر شعبان المعظّم

- **الثالث منه ولادة سبط النبي الأكرم ﷺ الإمام الحسين بن علي عليهما السلام سنة ٤هـ.**
- **الثالث منه دخول الإمام الحسين عليه السلام مكة سنة ٦٠هـ.**
- **الرابع منه ولادة مولانا العباس بن علي بن ابي طالب عليه السلام سنة ٢٦هـ.**
- **الخامس منه ولادة الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام سنة ٣٨هـ.**
- **الحادي عشر منه ولادة مولانا علي الأكبر بن الإمام الحسين عليه السلام سنة ٣٣هـ.**
- **الخامس عشر منه ولادة بقية الله الأعظم الإمام الحجة بن الحسن العسكري عجل الله فرجه الشريف سنة ٢٥٥هـ.**
- **التاسع عشر منه غزوة بني المصطلق سنة ٥هـ.**



المشرف العام	السيد عيسى الخرسان
رئيس التحرير	د. محسن عبد العظيم الخاقاني
مدير التحرير	د. حسين فاضل الحكيم
سكرتير التحرير	هشام أموري السماك
المحررون	هاشم محمد الباججي حيدر رزاق الكعبي عبد الحسن هادي الشافعي حمود حسين الصراف
التصحيح اللغوي	د. ستار عبد الله العيداني
السلامة الفكرية	فاروق أبو العبرة
تصميم الغلاف وتوليد الصور	أحمد مكي القرشي
التصميم والاخراج	حيدر حميد الكريطي

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق في بغداد (1121) للعام 2008م
رقم الاعتماد في نقابة الصحفيين العراقيين (744)
alwelayh.com - info@alwelayh.com - 07700553150



الإمام علي بن الحسين عليهما السلام
السيد الحصور والأسد الهصور

السيد عيسى الخرسان
الأمين العام

عندما يُراد الحديث عن أعجوبة من أعاجيب الزمان، ومنها مولانا عظيم الشأن الإمام زين العابدين عليه السلام فإن المرء ليشعر بالضآلة والصِّغَر، إزاء هذا العملاق الذي لا تؤطره الألفاظ، ولا تُحيط به المقاصد. وفي مثل هذا المقام، فأنَّ عين المحبَّة الناظرة أبصر من رؤية العقل القاصرة، وهي ما تعين الطالبين على مطالبهم، على أنَّ هذا بقدرنا لا بقدرهم، برجاء أن يوفقنا الله تعالى للصواب والاستقامة.

وبالعودة إلى العنوان الأول، فإنَّ إمامنا السجاد عليه السلام ضرب مثلاً عظيماً في نزاهة النفس ورسوخ الإرادة في أحلك المواقف، ففي أحوال مهولة، كالتي عاصرها صاحب الذكر أرواحنا فداه، وهي أحوال عاشوراء على وجه التخصيص، وما بعدها، والأهوال الجسام التي يطيش بها العقل ويذهل بها القلب، ثبت حفيد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، ليسطر ملحمة أخلاقية كبرى في ميدان العفّة والشجاعة وطيب العنصر.

فلم يُعرف عنه نزوعٌ انتقاميٌّ بإزاء أحدٍ من خصومه، ولا ميلٌ لأخذ البريء بالسقيم والمُقبل بالمُدبر كما يُعبّرون، بل كانت نفسه الشريفة تنبسط كلما زاد انقباض الزمان في وجهه، وجسّد مثالاً منقطع النظير في جهاد النفس وسعة الصدر والتوثّب في ذات الله عزَّوجلّ، حتى حكى سيرة جدّهِ رسول الله صلى الله عليه وآله حدّ الانطباق، ومعلومٌ أن من يمرُّ بمثل هذه الظروف النفسية الصعبة فإنها تؤثر في سلوكه ومدركاته بشكل أو بآخر، لكن كيف وظّف هذا الأمر إمامنا زين العابدين عليه السلام لتحقيق الخير العميم؟

لقد اندكّت هذه المظلومية الكبرى في ذاته الخيّرة، فاستجابت لها استجابة تحويلية عكسية، أخرجت للعالم أول وثيقة حقوقية للعالم، نظّمت أمور الفرد والأسرة والمجتمع، وفقاً لمعايير أممية عليا، وهذه من خصوصياته، بوصفه أول أسير حرب يضع نظرية اجتماعية متكاملة للحقوق والواجبات.

ثم نظر نظرة داخلية إلى نفس الإنسان وتمظهراتها، فكرّس تجربته الغنية بكل معاني الألم والتضحية، ليتنفس علينا بصحيفته السجّادية التي تمثّل دستوراً أخلاقياً في التهذيب القلبي والروحي والوجداني لا نظير له، ويستلهم من جده أمير المؤمنين عليه السلام مقامات العبودية لله تعالى، التي لا يرقى إليها إلا مثله، وهو القائل:

"اللهمَّ اجعلني أصول بك عند الضرورة، وأسألك عند الحاجة، وأتضرع إليك عند المسكنة، ولا تفتنّي بالاستعانة بغيرك إذا اضطررتُ، ولا بالخضوع لسؤال غيرك إذا افتقرتُ، ولا بالتضرّع إلى من دونك إذا رهبتُ، فأستحقُّ بذلك خذلانك ومنعك وإعراضك يا أرحم الراحمين".

ويا لها من دعوة، ونحن في شهر شعبان المعظم، شهر المناجيات الخمس عشرة لسيدنا ومولانا زين العابدين عليه السلام، في أن نزكي أعمالنا ونروّض أنفسنا على وفق طريقته المثلى، روحي وأرواح العالمين له الفداء.

ورحم الله الشاعر إذ قال فيه عليه السلام:

خليلاهُ التهجدُ والسجودُ ... وآياتُ الكتابِ له شهودُ
بأنَّ علياً السجادَ سرٌ ... تضيقُ بكنهِ جوهرهِ اللحودُ
براحةِ كفهِ للخيرِ وعدٌ ... وفي أطرافِ صارمهِ وعيدُ
وتُشرقُ في عبادتهِ الليالي ... ويُرجى من سماحتهِ المزيدُ
بثقلِ القيدِ في يدهِ سلاماً ... لروحٍ لا يقيّدها الحديدُ

٨
قـــــــــاف

١٦
الكلـــم الطيـــب

٢٢
حتى يتفقهوا

٣٠
مع الحـــق

٣٨
بلسانٍ علويٍّ مُبين

٥٠
الصِّراطُ المُستقيم

٦٠
لسان الأمة

٧٠
قُرَّة الأَعين



٨٠
بيلوغرافيا العلوم

٩٠
تراث الخزانة العلوية

٩٦
حوار العدد

١٠٤
ذاكرة الأمم

١١٠
يراغ العلماء

١١٦
أروقة الحرم

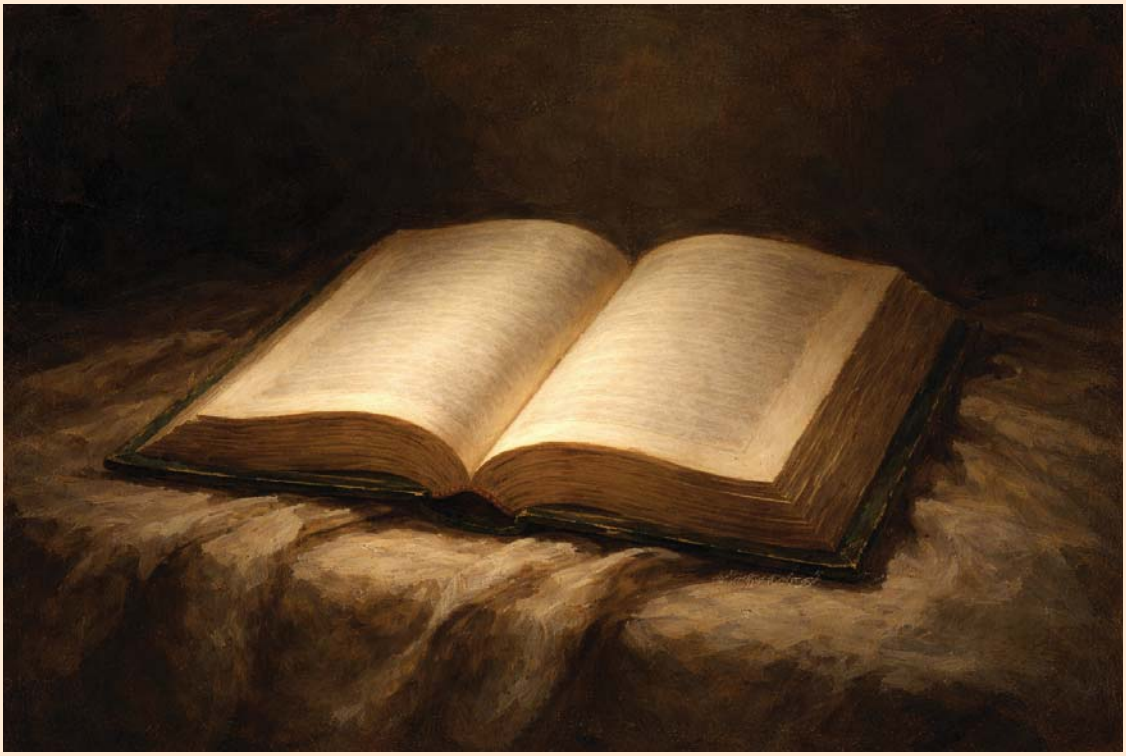


قـــــاف

- القرآن الكريم سهل ممتنع

- المعرفة القرآنية للقضية المهدوية

أ. م.د حيدر عبد الكريم المسجدي
جامعة القرآن والحديث/ قم المقدسة



القرآن الكريم سهل ممتنع

أ. م.د حيدر عبد الكريم المسجدي
جامعة القرآن والحديث/ قم المقدسة

يتميّز القرآن الكريم بخصوصيّة بيانية فريدة، فهو سهل وواضح من جهة، وعميق وممتنع من جهة أخرى؛ لذلك نجد أنّ كلّ من يقرؤه أو يسمعه ينهل منه بحسب مستواه العلمي والفكري، فالبسيط يتأثّر بمعانيه الظاهرة، والعالم يغوص في دقائقه وأبعاده العميقة.

وقد عبّر أمير المؤمنين عليه السلام عن هذه الحقيقة بقوله: ((ما جالس هذا القرآن أحدٌ إلا قام عنه بزيادةٍ أو نقصانٍ: زيادةٍ في هدى أو نقصانٍ من عمى))[1]، أي: إنّ من اقترب من القرآن وتفاعل معه بإخلاصٍ ازداد بصيرةً وهدى، ومن أعرض عنه أو ترك العمل بما فهمه، ازداد غفلةً وبعداً عن النور الإلهي.

المدخل إلى فهم النصوص

لا شكّ في أنّ الخطوة الأولى لفهم النصوص الدينيّة والقرآن الكريم هي فهم مفرداته ولغته الأصليّة، فبدون إدراك دقيق لمعاني الألفاظ في عصر النزول لا يمكن الوصول إلى المعنى الصحيح للنصوص المذكورة.

ومن القضايا التي يغفل عنها كثيرون ما يُعرف في الدراسات اللغوية الحديثة بـ (التطوّر الدلالي)؛ أي: تغيّر معاني الألفاظ مع مرور الزمن، فكثيرٌ من الألفاظ القرآنية كانت تمتلك في زمن النبي ﷺ طيفًا واسعًا من المعاني، لكن بعضها تبدّل أو اندثر بمرور القرون.

من هنا، يصبح الرجوع إلى كتب اللغة القديمة، فضلاً عن تفاسير القدماء، أمراً ضرورياً، لما يترتّب عليه من نتائج مهمة علمياً وعملياً في فهم النص القرآني.

وإليك فيما يلي مثالاً توضيحياً في مفردة النسيان، إذ ورد الجذر (ن س ي) في القرآن الكريم (٤٥) خمساً وأربعين مرة في (٣٧) سبعٍ وثلاثين آية، واليوم نستعمله غالباً بمعنى ذهاب الشيء عن الذهن، وهو استعمال صحيح، لكنه ليس المعنى الوحيد الذي كان سائداً قديماً، فقد ذكر الجوهري في الصحاح أنّ النسيان يعني: " خِلاف الذِّكْرِ والحفظ، ورجلٌ نَسْيَانُ ـ بفتح النون ـ : كثير النِّسْيَانِ للشيء... والنِّسْيَانُ: التركُ"[٢].

فنلحظ أن الكلمة كانت تُستعمل في معنيين:

١. غياب الشيء عن الذهن.

٢. ترك الشيء عمداً أو إهماله.

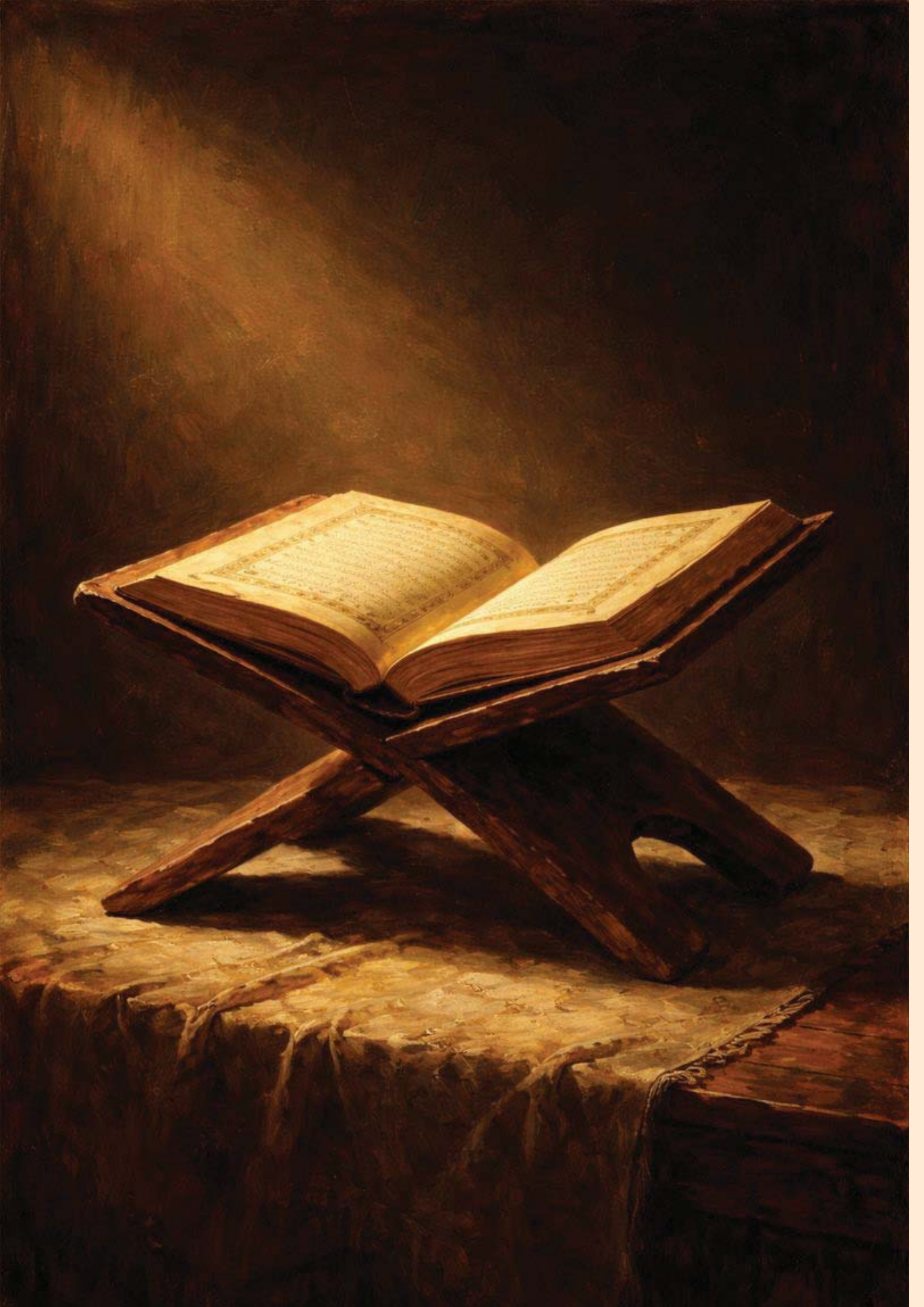
لكننا اليوم لا نستعملها إلا في المعنى الأول، ما قد يجعل فهم بعض الآيات ناقصاً أو غير دقيق، وفي بعض الأحيان معكوسًا، ومن أبرز الأمثلة قوله تعالى: ﴿نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ﴾[التوبة: ٦٧].

فقد تُرجمت هذه الآية في كثيرٍ من الترجمات الفارسية الحديثة بمعنى الغياب عن الذهن، وهو معنى غير لائق بالله تعالى؛ لأنّ النسيان بهذا المعنى نقصٌ

حين نقرأ القرآن اليوم، فإنّ الذهن يتّجه تلقائياً إلى المعاني الحديثة للكلمات، لا إلى المعاني القديمة التي كانت معروفة في وقت نزول الآيات، وهذا قد يؤدّي إلى تغيّرٍ في الفهم، بل أحياناً إلى تفسيرٍ خاطئٍ للآية، ولا سيما في محاولات ترجمة النصوص القرآنية.

لا يجوز في حقّه سبحانه؛ لذا لجأ بعض المفسّرين إلى تأويل نسيان الله لهم بمعنى: "عاملهم معاملة الناسي"[٣]، أو "نسيهم من رحمته"[٤]، أو "نسيهم بحرمانهم من لطفه ورضوانه ورحمته؛ إذ لا معنى لنسيان الله للناس إلّا إهماله لهم"[٥]، وهو ما يؤدي إلى "تركهم في النّار ومنع رحمته عنهم فكانوا بحكم المنسيّين"[٦]، وهكذا غير ذلك.

في حين أننا لو لحظنا معاني النسيان في العصور السابقة لكنّا في غنىً عن هذه التأويلات وأشباهها، إذ تقدم استعماله بمعنى الترك أيضاً، ولهذا فسرها عديد من قدماء المفسرين بالترك، منهم: مقاتل بن سليمان (القرن الثاني)[٧]، وعبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (القرن الثالث)[٨]، وأحمد بن علي الجصاص (القرن الرابع)[٩]، ونصر بن محمد بن أحمد (القرن الرابع)[١٠]، ومحمد بن جرير الطبري (القرن الرابع)[١١] والشيخ الطوسي (القرن الخامس)[١٢]، وعتيق بن محمد السور آبادي (القرن الخامس)[١٣]، أحمد بن ابراهيم الثعلبي (القرن الخامس)[١٤]، وأبو الفتوح الرازي (القرن السادس)[١٥]، والزمخشري (القرن السادس)[١٦]، وابن شهر آشوب المازندراني



(القرن السادس)[١٧]، والفضل بن الحسن الطبرسي (القرن السادس)[١٨] ، وابن إدريس الحلي (القرن السادس)[١٩]، وغيرهم.

ومن العرض السابق يتّضح سبب اختلاف تفسير الآية الواحدة في القرون المتقدمة عن تفسيرها في القرون المتأخرة، كما يتّضح سبب عدم إشارة بعض المفسرين إلى معاني المفردة القرآنية نظير النسيان، على الرغم من ورودها في كتب اللغة المعتبرة، وما ذلك إلّا بسبب قلة استعماله بهذا المعنى في القرون المتأخرة، ما أدى للغفلة عنه في التفاسير المتأخرة.

اللافت للنظر أنّ جميع من فسّر النسيان بخلاف الذكر هم من أبناء القرنين الرابع عشر والخامس عشر، وجميع من فسره بمعنى الترك هم من أبناء القرون الأولى، ومن هنا تبرز أهمّية إدراك معاني المفردات في العصور السالفة، وعدم جرّ المعاني المعاصرة وتطبيقها على ألفاظ القرآن الكريم.

الآية في ضوء التفسير بالمأثور

ومما يلفت الانتباه أنّ الروايات الواردة في تفسير الآية تؤيد معنى الترك، فقد ورد تفسيره فيها بالترك، فروى محمد بن مسعود العياشي (القرن الرابع) عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام: {نَسُوا اللهَ} قال: ((قال تركوا طاعة الله ﴿فَنَسِيَهُمْ﴾ قال: فتركهم))[٢٠].

وهذا ما يؤكد أهمّية إدراك المعاني السائدة في عصر النزول، وعدم الاكتفاء بالمعاني الرائجة في العصر الحاضر، وإن كانت المفردة واضحة على ما يبدو، بل لعل الحاجة في المفردات الواضحة ـ نظير النسيان ـ أكثر إلحاحاً.

الاستعمال القرآني للفظ (النسيان) في آيات أُخرى :

ورد استعمال (النسيان) في آيات أُخر بمعنى الترك أيضاً، منها قوله تعالى : ﴿**وَلا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ**﴾[البقرة: ٢٣٧] أي: ولا تتركوا الفضل بينكم، إلّا أنّه تمّ تأويل النسيان فيها كسابقتها بمعانٍ عديدة، منها أنه "خطاب لعموم المسلمين أن لا ينسوا المُثل الإنسانية في العفو والصفح والإيثار في جميع الموارد"[٢١]. وقيل أيضًا: "لا تنسوا التفضّل بينكم بالإحسان فتتركوه، وتستقصوا أخذ كل المستحق، فإن العفو خير لكم جميعاً"[٢٢] ، وهكذا غير ذلك.

في حين أنّنا لو راجعنا كتب اللغة لوجدنا التصريح بأنّ النسيان هنا بمعنى الترك، فكتب الجوهريّ في بيان معاني الجذر «نسى» قائلاً: "والنِّسْيَانُ: الترك، قال اللهَّ تعالى: ﴿**نَسُوا الله فَنَسِيَهُمْ**﴾، وقال تعالى: ﴿**وَلا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ**﴾[٢٣] ، نعم وهذا لا يعني ضرورة فهم النسيان بمعنى الترك في جميع الآيات، حيث استعمل النسيان في بعضها بمعنى الغياب عن الذهن أيضًا، نظير قوله تعالى:﴿**وَ اذْكُرْ رَبَّكَ إِذا نَسيتَ**﴾[الكهف: ٢٤].

الخلاصة:

الذي ننتهي إليه من هذا البيان المختصر هو جملة أُمور:

١)المدخل لفهم القرآن والنصوص المختلفة هو فهم المفردات أولًا.

٢)إنّ إدراك التطوّر الدلالي للمفردات القرآنية يُعدّ مفتاحاً جوهرياً لفهم القرآن فهماً صحيحاً.

٣)قد تكون الكلمة مألوفة في ظاهرها، إلّا أنّ فهم معناها في عصر النزول يفتح لنا آفاقاً جديدة للفهم والتدبّر.

٤)بعض المفردات قد تكون مستعملة في معانٍ عديدة سابقاً ثم اندرس بعضها لاحقاً، وهو ما يطلق عليه بالتطور الدلالي.

٥)تبرز أهمية إدراك هذا الجانب اللغوي إذا لحظنا أن النصّ الذي يراد فهمه هو نصّ القرآن الكريم.

٦)عدم الاهتمام بهذا الجانب أوقع عدداً من المترجمين والمفسّرين في خطأ فادح كان بإمكانهم تفاديه.

١.نهج البلاغة: ٢٥٢.

٢.الصحاح : ٦/ ٢٥٠٨ نسى.

٣.منهم: آية الله مكارم الشيرازي (القرن الخامس عشر) في تفسيره: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٦/ ١١٤، والشيخ محمد الصادقي الطهراني (القرن الخامس عشر) في تفسيره: الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن: ١٣/ ٢٠٨، والسيد عبد الحسين طيب (القرن الخامس عشر) في تفسيره: أطيب البيان في تفسير القرآن : ٦/ ٢٦٠.

٤.منهم: السيد علي أكبر القرشي (القرن الخامس عشر) في تفسيره: تفسير أحسن الحديث: ٤/ ٢٦٨.

٥.السيد محمد حسين فضل الله (القرن الخامس عشر) في تفسيره: من وحي القرآن، ١١/ ١٥٧.

٦.إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن: ١/ ٢٠٢.

٧.تفسير مقاتل بن سليمان: ٢/ ١٨٠.

٨.غريب القرآن: ١/ ١٦٥.

٩.احكام القرآن: ٤/ ٣٤٩.

١٠.بحر العلوم : ٢/ ٧٦.

١١.جامع البيان في تفسير القرآن : ١٠/ ١٢١.

١٢.التبيان في تفسير القرآن : ٥/ ٢٥٣.

١٣.تفسير السور آبادي : ٢/ ٩٤.

١٤.الكشف والبيان عن تفسير القرآن : ٥/ ٦٦.

١٥.روض الجنان وروح الجنان في تفسير القرآن : ٩/ ٢٨٧.

١٦.الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل : ٢/ ٢٨٧.

١٧.متشابه القرآن ومختلفه : ١/ ٥.

١٨.تفسير جوامع الجامع : ٢/ ٦٨، مجمع البيان في تفسير القرآن : ٥/ ٧.

١٩.المنتخب من تفسير التبيان: ١/ ٣٧.

٢٠.تفسير العياشي: ٢/ ٩٥.

٢١.وهبة الزحيلي، التفسير المنير: ٢/ ٣٨٦.

٢٢.الصحاح: ٦/ ٢٥٠٨.

المعرفة القرآنية للقضية المهدوية

جاء في القرآن الكريم عدد من الآيات القاضية بوجوب ظهور الإمام المهدي المنتظر (عجل الله فرجه) وفي شأنه وقضيته، وهي إما مؤولة من قِبل أهل البيت عليهم السلام، أو كانت تذكر الإمام بوصفه أحد مصاديقها، نحو قوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ**﴾ [الأنعام: ٤٤]، وقد روى علي بن ابراهيم القمي بإسناده عن أبي حمزة، قال: ((سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله تعالى: ﴿**فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ**﴾ قال: أما قوله: ﴿**فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ**﴾ يعني فلما تركوا ولاية علي أمير المؤمنين عليه السلام، وقد أُمروا بها ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يعني دولتهم في الدنيا وما بسط لهم فيها، أما قوله: ﴿**حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ**﴾ يعني بذلك قيام القائم، حتى كأنهم لم يكن لهم سلطان قط، فذلك قوله: ﴿بَغْتَةً﴾فنزل آخر هذه الآية على محمد صلى الله عليه وآله: ﴿**فَقُطِعَ دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين**﴾[1].

وكذلك ما أشارت إليه الآية من أنه عليه السلام وأصحابه تعود وراثة الأرض إليهم، بحسب تعبير القرآن الكريم وتفسيره روائيًا، ففي قوله عز وجل:﴿**وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ**﴾[الأنبياء: ٥]، ورد في تفسير: ﴿**أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ**﴾ عن أبي جعفر عليه السلام قال: ((هم أصحاب المهدي عليه السلام في آخر الزمان))[2].

فيُظهر الله تعالى دينه على يديه بعد إن لم يكن تام الظهور، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى:﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**﴾[التوبة: ٣٣]، وروى الشيخ الصدوق: عن أبي بصير قال: ((قال أبو عبد الله عليه السلام في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**﴾، فقال: والله ما نزل تأويلها بعد، ولا ينزل تأويلها حتى يخرج القائم عليه السلام، فإذا خرج القائم عليه السلام لم يبقَ كافر بالله العظيم، ولا مشرك بالإمام إلّا كره خروجه، حتى لو كان هناك كافر أو مشرك في بطن صخرة لقالت: يا مؤمن في بطني كافر فاكسرني واقتله))[3]، وقوله تعالى: ﴿**وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا**﴾[النور: ٥٥]، روي عن ابن عباس أنه قال في تفسير هذه الآية: ((نزلت في آل محمد صلى الله عليه وآله))، ولم يحصل الاستخلاف للأئمة قبل الإمام المهدي عليه السلام.

وهناك كتاب بعنوان: (المحجة فيما نزل في القائم الحجة) عجل الله تعالى فرجه الشريف، لمؤلفه السيد هاشم البحراني (ت: ١١٠٩هـ)، وهو كتاب مختص بالآيات المتحدثة عن شؤون الإمام المنتظر (عجل الله فرجه)، ويحتوي على (١٢٠) آية من القرآن الكريم، مفسِرة بروايات أهل البيت عليهم السلام؛ ما يُدلل على أن الشأن المهدوي ثقافة قرآنية واسعة، أسهمت النصوص الروائية في بيانها وتعريف الناس بها.

---

١. تفسير القمي: ١/ ٢٠٠.

٢. الطبرسي، مجمع البيان: ٧/ ١٢٠.

٣. كمال الدين وتمام النعمة: ٦٧٠.



الكلم الطيّب

منهج أهل البيت عليهم السلام في نقد الحديث وتمييز الصحيح من السقيم

د. الشيخ حسين التميمي
مركز الدراسات والمراجعة العلمية
العتبة العباسية المقدسة

منهج أهل البيت عليهم السلام في نقد الحديث وتمييز الصحيح من السقيم

د. الشيخ حسين التميمي
مركز الدراسات والمراجعة العلمية
العتبة العباسية المقدسة



يُعدّ علم الحديث من العلوم الإسلامية المركزية التي اضطلعت بدورٍ حاسم في حفظ معالم الشريعة واستمرار الفكر الديني الأصيل، إذ ارتبط ارتباطاً وثيقاً بعملية نقل الوحي وتدوين السنة النبوية الشريفة، لكنّ هذا العلم لم يخلُ عبر التاريخ من تحدياتٍ خطيرة، وأبرزها تسرب الوضع والدسّ والتحريف والتلاعب بالأسانيد والمتون، ما استدعى وجود منهج دقيق في نقد الروايات وتمييز صحيحها من سقيمها، وفي هذا السياق تبرز مكانة أهل البيت عليهم السلام بصفتهم الامتداد الطبيعي لرسول الله صلى الله عليه وآله، وورثة علمه وحملة سنّته، إذ مثّلوا المرجعية الأصيلة والضمانة الواقعية لصيانة الحديث النبوي من التحريف والتشويه.

ولقد اتسمت مدرسة أهل البيت عليهم السلام بخصوصية منهجية فريدة في التعامل مع الحديث، فهي لم تنغلق على مجرّد النقل أو التسليم المطلق بالروايات، بل اتخذت مساراً نقدياً واعياً، يقوم على أسس معرفية وروحية متكاملة. فقد أرشد الأئمة عليهم السلام أصحابهم إلى ضرورة التثبّت من الأخبار، وإعمال قواعد دقيقة في قبول الرواية أو ردّها، سواء على مستوى السند أم المتن أم المضمون العقائدي والتشريعي. وقد مثّل هذا التوجّه المبكر بذوراً أصيلة لعلم "دراية الحديث" عند الإمامية، قبل أن يتشكّل فيما بعد في مصنفات متخصصة ومناهج علمية رصينة.

وإذا كان علماء الحديث في المدارس الإسلامية الأخرى قد اعتمدوا – في الغالب – معايير شكلية ترتبط بثقة الرواة وعدالتهم واتصال الأسانيد، فإنّ مدرسة أهل البيت عليهم السلام أضافت بعداً جوهرياً يتمثل في عرض الرواية على القرآن الكريم، وعلى السنّة القطعية الثابتة، وعلى مقتضيات العقل والبرهان، الأمر الذي منح منهجهم سعة وعمقاً يجعلان منه معياراً متكاملاً لنقد الحديث وتمييز الصحيح من السقيم. من هنا جاءت كلمات الإمام الصادق عليه السلام المتكررة: ((ما خالف كتاب الله فاضربوا به عرض الحائط))[1]، لتؤكد أنّ معيار القَبول ليس وثاقة السند فحسب، بل الانسجام مع الأصول الثابتة للشريعة.

وأنّ هذا الإرث الروائي والمنهجي الذي خلّفه أهل البيت عليهم السلام لم يكن مجرد تنظيرٍ معرفي، بل مثّل ممارسةً عملية في حياتهم وسيرتهم مع أصحابهم وتلامذتهم، فكم من روايات نُسبت إلى النبي صلى الله عليه وآله أو إلى الأئمة عليهم السلام فنقضوها بالحجّة والبرهان، وكشفوا عللها وأوضحوا مواطن الخلل فيها، الأمر الذي رسّخ الوعي النقدي في وجدان الأمة. كما أنّهم وضعوا ضوابط واضحة للتعامل مع المرويات، فحدّدوا صفات الراوي الموثوق، وأرشدوا إلى التثبّت من نقل الحديث، بل حذّروا من الغلاة والوُضّاع والمتلاعبين بالكلمات.

من هنا، فإنّ دراسة منهج أهل البيت عليهم السلام في نقد الحديث وتمييز الصحيح من السقيم ليست مجرد بحثٍ في جانب تاريخي من التراث، بل هي استحضار لرؤية معرفية متكاملة تملك القدرة على إغناء الدراسات الحديثية المعاصرة، وتقديم نماذج معيارية لتصحيح الفهم الديني، وتحصين العقل الإسلامي من الانخداع بالروايات الملفقة أو الاستغلال الفكري والسياسي للنصوص، فضلا عن أن هذه الدراسة تمثّل وقفةً مع التراث الروائي الإمامي الذي حوى جهوداً علمية ضخمة في التأسيس لعلوم الإسناد والدراية والجرح والتعديل، بما ينسجم مع خط أهل البيت عليهم السلام، ويُبرز عمق رسالتهم في حفظ الدين.

وبذلك، فإن هذا البحث يهدف إلى استقراء الأسس الكبرى التي اعتمدها أهل البيت عليهم السلام في نقد الحديث، مع تسليط الضوء على تجليات هذه المنهجية في الموروث الروائي، وبيان أثرها في صياغة الفكر الحديثي عند الإمامية، ليكون بذلك محاولة لاستعادة الوعي النقدي الذي أراده الأئمة عليهم السلام أساساً لتمييز الحق من الباطل في الرواية، والصدق من الدسّ في النقل، والهدى من الانحراف في الفكر الديني.

لذا يعتبر منهج أهل البيت عليهم السلام في التعامل مع الرواية منهجًا علميًا متكاملًا، هدفه حفظ السنة النبوية من التحريف والوضع والتلاعب، وصيانتها عن الدخيل والمنحول. فلم يكن موقفهم موقف المتلقي السلبي أو الناقل المجرد، بل كان موقف المُمحّص الفاحص، الذي يزن الرواية بميزان دقيق، يقوم على عرض المتن والسند على ضوابط شرعية وعقلية ونصية.

ولقد برزت الحاجة إلى هذا المنهج بعد وفاة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، إذ بدأ التدوين غير المنضبط، وتكاثر الرواة، ودخلت الأهواء السياسية والمذهبية على الخط، ما أدى إلى ظهور آلاف الروايات الموضوعة، وهنا وقف أئمة أهل البيت عليهم السلام موقفًا صارمًا،

فأسسوا منهجًا نقديًا علميًا، يمكن تلخيصه في عدة معايير يمكن إيجازها في الآتي:

أولًا: التمحيص السندي للرواة، إذ أولى الأئمة عناية خاصة بمعرفة الرواة، وعدالتهم، وتوجهاتهم العقائدية، فقد ورد عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: ((اعقلوا الحق إذا سمعتموه عقل رعاية، ولا تعقلوه عقل رواية، فإن رواة الكتاب كثير ورعاته قليل))[٢]، وهذا يدلّ على اشتراط الوثاقة والصدق في الناقل، لا مجرد النقل.

ثانيًا: عرض الحديث على القرآن الكريم. وهو من أهم معايير التمييز بين الصحيح والسقيم. فقد قال الإمام الصادق عليه السلام: ((ما لم يوافق من الحديث القرآن فهو زخرف))[٣]، ويُستفاد من هذا أن الحديث لا يُقبل إذا خالف ظاهر القرآن أو سننه المحكمة، مما يُبرز مركزية الكتاب في ضبط السنة.

ثالثًا: العرض على السنة الثابتة والعقل الصريح، فقد أكد الأئمة أن الحديث يجب أن يكون منسجمًا مع ما ثبت يقينًا عن النبي صلى الله عليه وآله أو عنهم، وألّا يصطدم بالعقل السليم: ((إذا جاءكم منّا حديث فاعرضوه على كتاب الله، فما وافق كتاب الله فخذوه، وما خالفه فاطرحوه أو ردّوه علينا))[٤].

رابعًا: التحذير من الكذابين والغلاة. فقد حذّر أهل البيت مرارًا من الغلاة والوضّاعين الذين دسّوا الروايات إليهم زورًا، ومن ذلك ما جاء في قول الإمام الصادق عليه السلام: ((إنا أهل بيت صدق، لا نخلو من كذاب يكذب علينا، فيسقط صدقنا بكذبه علينا عند الناس))[٥]، ولهذا أوصى الأئمة أصحابهم بالتثبّت من كل رواية، وعدم التساهل في قبولها من دون معرفة حال راويها.

خامسًا: التأسيس للعلم المنهجي في نقد الرواية. فقد وضع الأئمة قواعد نقد الرواية التي أصبحت لاحقًا أساسًا لعلم الدراية، مثل تقسيم الحديث على صحيح، حسن، موثق، وضعيف، كما في تصانيف المتأخرين، ومنهم النجاشي، والطوسي، وابن طاووس، والعلاّمة الحلي، الذين استقوا منهجهم من توجيهات الأئمة.

وقد تميز أصحاب الأئمة بدور محوري في هذا المنهج، فكان من أصحاب الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام من اشتهروا بالتمحيص، ومنهم زرارة، محمد بن مسلم، هشام بن الحكم، وغيرهم، ممن كانوا يسألون الإمام عشرات المرات عن الراوي أو عن لفظ الرواية. فعن محمد بن أحمد بن حماد المروزي المحمودي ، يرفعه عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: ((اعرفوا منازل الرجال على قدر رواياتهم عنا))، وعنه عليه السلام أيضاً: ((اعرفوا منازل شيعتنا بقدر ما يحسنون من رواياتهم عنا))[٦].

وأن هذا المنهج لم يكن مجرد استجابة ظرفية للفتن والاختلافات، بل كان مشروعًا متكاملًا لحفظ السنة النبوية الصحيحة، وصيانتها عن التحريف والتشويه. وقد تميز عن بقية المناهج بكونه تطبيقيًا وذاتيًا، أي أن الأئمة بأنفسهم كانوا مصدرًا للتشريع وموجّهين لمسار الرواية، وليسوا مجرد نقاد خارج إطار النص، ما أعطى منهجهم مصداقية وأصالة لا تضاهى.

ولا يمكن الحديث عن أي مشروع إصلاحي حديث في علوم الحديث من دون العودة إلى هذا المنهج الذي أسسه آل محمد صلى الله عليه وآله، الذي يمثل أحد أهم المرتكزات الفكرية الكبرى في بناء المعرفة الإسلامية السليمة، بعيدًا عن الإفراط والتفريط، وعن سلطة النصوص المنحولة.

١- الشيخ الطوسي، التبيان في تفسير القرآن: ١/ ٥.

٢- الكليني، الكافي: ٨/ ٣٩١.

٣- تفسير العياشي: ١/ ٩.

٤- الشيخ الصدوق، المقنع: ٣١٢.

٥- الشيخ الطوسي، رجال الكشي: ١/ ٣٢٤.

٦- الحميري، قرب الإسناد: ٢١.

حسين مني وأنا من حسين

تزخر السنة النبوية الشريفة بالعديد من الأحاديث التي خصَّ بها رسول الله صلى الله عليه وآله أهل البيت عليهم السلام، حاثّاً الأمة على اتباعهم والامتثال لأوامرهم والسير بمنهجهم، الذي يمثل استمراراً للرسالة المحمدية الأصيلة، فهم سفينة النجاة التي ضمنت النجاة لمن ركبها، والهلاك لمن تخلَّف عنها.

في هذا المقام، نتناول حديثاً نبوياً بالغ الأهمية، يؤكد المكانة الخاصة لحفيده الإمام الحسين عليه السلام.

فقد رُوي عن سعيد بن أبي راشد، عن يعلى العامري، أنه قال: ((خرج من عند رسول الله صلى الله عليه وآله إلى طعام دُعي إليه، فإذا هو بالحسين يلعب مع الصبيان، فاستقبله النبي صلى الله عليه وآله أمام القوم ثم بسط يديه، فطَفَر الصبي ههنا مرة وههنا مرة، وجعل رسول الله يضاحكه حتى أخذه، فجعل إحدى يديه تحت ذقنه، والأخرى تحت قفاه، ووضع فاه على فيه وقبَّله، ثم قال: حسين مني وأنا منه، أحب الله من أحب حسيناً، حسين سبط من الأسباط))[1].

إن هذا الحديث الشريف صادر عن رسول الله صلى الله عليه وآله الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحيٌ يوحى، وبذلك لم يكن هذا القول مجرد مصادفة، بل نطق به صلى الله عليه وآله وهو مُدرك تماماً لعمق معانيه ومقاصده.

لقد أراد النبي صلى الله عليه وآله أن يوضح للأمة العلاقة الوثيقة بينه وبين حفيده الإمام الحسين عليه السلام، مُبيناً أن محبة الحسين عليه السلام تُعد جزءاً لا يتجزأ من محبته صلى الله عليه وآله، وصولاً إلى تحقيق محبة الله (جلّ وعلا) ورضاه.

١- المجلسي، بحار الانوار: ٤٣/ ٢١٧.


حُسَيْنٌ مِنِّي
وَأَنَا مِنْ
حُسَيْنٍ

حتى يتفقهوا

المهر (الصداق) بين النص الفقهي والتشريع القانوني
دراسة فقهية تحليلية في ضوء التعديل الجديد لقانون الأحوال الشخصية الجعفري لعام ٢٠٢٥

السَيِّد مُحَمَّد بَاقِر المُقَدَّس الغُرَيفِي
الحوزة العلميّة في النَّجف الأشرف



المهر (الصداق) بين النص الفقهي والتشريع القانوني

دراسة فقهية تحليلية في ضوء التعديل الجديد لقانون الأحوال الشخصية الجعفري لعام ٢٠٢٥

السيّد مُحمَّد بَاقِر المُقَدَّس الغُرَيفِي
الحوزة العلميّة في النَّجف الأشرف

أولى الإسلام اهتمامًا بالغًا وعناية خاصة بالأسرة، عبر سنّ مجموعة من القوانين والضوابط، لأجل ديمومتها واستقرارها، فأعطى لكل فرد من أفراد الأسرة مجموعة المسؤوليات والمهام والحقوق، حتى لا يحصل التعدّي عليها، فيؤدي بهم إلى خلخلة أفرادها، ومن الحقوق الزوجية المهمّة هي مسألة المهر أو الصداق، فإنه يعد ركنًا أساسًا في الزواج، وقد فصّلت الشريعة الغرّاء فيه، وسنبحث أحكامها على وفق فقه مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

الفرع الأول: المهر أو (الصداق) في الفقه الجعفري – تأصيل نظري

لا ريب كما ورد في آيات القرآن الكريم – يمثل أحد الشروط المكمّلة لعقد النكاح في الفقه الإسلامي، إذ هو من شروط العقد لا من أركانه، بحيث لا يتوقف أصل النكاح على ذكره.

المهر لغة: مهر المرأة، مهرتها أمهرها مهرًا فهي ممهورة، وقد قالوا أيضًا: وأمهرتها إمهارًا فهي ممهرة، وامرأة مَهيرة ومهورة، وجمع مَهيرة مهائر، والمُهْر: الفتيّ من الخيل، والأنثى مُهرة، والجمع مِهار وأمهار[1]، ويدل على أمرين: أحدهما: أجر في شيء خاص، وهو المهر، مهر المرأة أجرها تقول: مهرتها بغير ألف، فإذا زوجتها من رجل على مهر قلت: امهرتها، وثانيهما: شيء من الحيوان[2].

وفي المثل: أَحمقُ من المَمْهُورة إحدى خَدَمَتَيْها؛ يضرب مثلًا للأحمق البالغ في الحمق الغايةَ؛ وذلك أَنّ رجلًا تزوج امرأة فلما دخل عليها قالت: لا أُطيعك أَو تُعطِيَني مهري، فنزع إحدى خدمتَيْها (خَلْخَالها) من رجلها ودفعها إليها فرضيت بذلك لحمقها[3].

ووجه تسميته "بالمهر" من المهارة في الشيء، فكأنّ كلّ واحد من الزوجين يكون ماهرًا في عمله بسبب إعطاء المهر، أمّا وجه تسميته "بالصداق" فلأنّه سبب لصداقة الزوجين، وكونه أجرًا واضحًا، وقد سمي أيضًا "بالفريضة" لأنّه فرض من الله تعالى، وسمي كذلك "بالنحلة" بمعنى الهديّة، فكأنّه هديّة منه إليها[4].

أمّا اصطلاحا: فقد عرّفه الفقهاء بتعريفات متعددة منها: هو مال يجب بوطء غير زنا منها ولا ملك يمين[5] ، ومنها: أن المهر اسم لما وجب في مقابلة البضع بنكاح، أو وطء، أو موت، أو تفويت البضع قهرًا[6].

والخلاصة: أنّ الأصل في المقام هو جواز جعل كلّ شيء له مالية –بأيّ مقدار كان– مهرًا للزواج، سواء أكان عينًا أم دينًا أم منفعة أم غير ذلك مما له مالية[7].

فهو: ما يلزم على الرجل دفعه للمرأة في النكاح.

أمّا مشروعيته، فدلّ عليها القرآن الكريم في موارد متعددة، من أبرزها ما جاء بألفاظ واستعمالات أخرى:

١. الصداق: في قوله تعالى: ﴿**وَآتُوا النِّسَاء صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا**﴾ [النساء: ٤]، وتفسير الآية: إعطاء النساء مهورهن فريضة من الله تعالى لهن، فإن طابت نفوسهن بشيء من المهر من غير إكراه فلا إشكال

ولا حرج عليكم بالتصرف فيه[٨].

فالصداق جاء بمعنى المهر، والنحلة بمعنى عطية منكم لهن، ونزلت هذه الآية لأن كثيرًا من الناس كانوا يظلمون نساءهم ويسلبون حقوقهن، ولا يعطونهن الصداق المفروض عليهم، أو كانوا يماطلون أو يبخسون شيئًا منه، فنزلت الآية تحث الناس على إعطاء الصداق للنساء عن طيب نفس؛ لأنه صار حقًا من حقوق المرأة في أثناء العقد، إلا أن تتنازل هي وتعفو عن بعضه، فلا حرج عليكم حينئذٍ.

٢. الأجر: في قوله تعالى: ﴿**فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِ مِن بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا**﴾[النساء: ٢٤]، وتفسير الآية: فما استمتعتم أو تلذذتم من النساء بالنكاح، فآتوهن مهورهن فريضة، ولا جناح عليكم ولا حرج ولا إثم فيما تراضيتم به من زيادة مهر أو نقصانه أو حط أو إبراء أو تأخير[٩].

٣. الفريضة: في قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَن يَعْفُونَ**﴾[البقرة: ٢٣٧]، وتفسير الآية: وإن طلقتم نساءكم قبل الدخول بهن وقد فرضتم لهن مهرًا، فلهن نصف ما فرضتم، إلا أن تترك المرأة نصف مهرها[١٠].

يقول الشيخ الطوسي: "وقال جميع أهل التأويل: إنه إذا طلق الرجل من [سمّى] لها مهراً معلوماً قبل أن يدخل بها، فإنه يستقر لها نصف المهر، فان كانت ما قبضت شيئاً وجب عليه تسليم نصف المهر، وإن كانت قد سُلّمت جميع المهر، وجب عليها رد نصف المهر، ويستقر لها النصف الآخر"[١١].

والمهر هو عطية واجبة، لا منّة فيها، بل هي عنوان تكريمي يمثل موقع المرأة في منظومة التشريع الإسلامي، بوصفها شريكًا في العقد.

أمّا في السنة الشريفة، فقد وردت روايات كثيرة وعديدة وفي أبواب مختلفة في مسألة المهر، منها روايات تبيّن عقوبة عدم إعطاء المهر:

١. روي عن الإمام الصادق عليه السلام: ((في الرجل يتزوج المرأة ولا يجعل في نفسه أن يعطيها مهرها فهو زنا))[١٢]، إذ يُفهم من ظاهر هذا النص أنّ عقد الزواج مع نية الخيانة في المهر يخرج عن حقيقته الشرعية إلى صورة محرّمة تشبه الزنا، لما فيه من انتهاك لحرمة المرأة ومصادرة لحقها المشروع.

٢. وروي عن الإمام الصادق عليه السلام: ((من أمهر مهرًا ثم لا ينوي قضاءه كان بمنزلة السارق))[١٣]، وفيه تشبيه بليغ يجعل المماطلة في أداء المهر نوعًا من الغصب والسرقة، بل أشد وقعًا لارتباطه بحقوق الزوجة وكرامتها.

٣. وروي عن الإمام الصادق عليه السلام: قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ((إن الله ليغفر كل ذنب يوم القيامة إلا مهر امرأة، ومن اغتصب أجيرًا أجره، ومن باع حرًا))[١٤]، وهذه الرواية تكشف عن شدّة عناية الشريعة بحقوق النساء، إذ قرنت عدم سلب المهر بمظالم كبيرة كبيع الأحرار، وأكل حقوق الأجراء.

ومنها روايات في مقدار المهر:

١. روي عن أبي عبد الله الإمام الصادق عليه السلام قال: ((سألته عن المهر ما هو؟ قال: ما تراضى عليه الناس))[١٥].

٢. وروي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: ((الصداق

ما تراضيا عليه من قليل أو كثير فهذا الصداق))[١٦]، وغير ذلك من الروايات.

وقد أقرّ التعديل لقانون الأحوال الشخصية على وفق المذهب الجعفري ذلك، على وفق المادة (٤٧): ((كل ما يملكه المسلم وتكون له مالية عند الناس يصح أن يجعل مهرًا، عينًا كان أو دينًا او منفعة))[١٧].

الفرع الثاني: حكمة تشريع المهر ووظيفته ضمن عقد الزواج

إنّ الأحكام الشرعية – ومنها أحكام الأسرة – ليست أحكامًا تعبديّة محضة، بل تنطوي على ملاكات واقعية في المصالح والمفاسد؛ لذا فإنّ تشريع المهر له أبعاد متعددة أبرزها البُعد التكريمي: المهر مظهرٌ لإكرام المرأة وإظهار رغبة الرجل في الارتباط بها برضا واعترافٍ بحقّها، فهو ليس ثمنًا لتمكين أو استمتاع، وإن كان ذلك واجبًا، بل هو تعبير عن المودّة المقرونة بالعقد، والبُعد التوثيقي: كونه توثيقًا للعقد وضمانًا لجدّية الالتزام، بحيث لو وقع خلاف أو افتراق، بقي المهر رمزًا لتوثيق العقد.

ويُستفاد من تتبّع النصوص القرآنية والروايات أنّ المهر شُرّع على أساس إكرام المرأة وإظهار الرغبة الصادقة في الاقتران بها، فالقرآن الكريم يشير إلى أنّ الصداق -نِحلة- أي هدية خالصة لا عوضًا ولا مقابلًا، إذ لا يقصد منها تسعيرًا لعلاقة إنسانية، بل هي مظهر للمودّة المضمّنة في العقد.

أولاً: مقدار المهر بين الكثرة والقلّة

إنّ المهر ليس ثمنًا لشراء المرأة في قبال الاستمتاع بها كما يدّعي بعضهم؛ في سبيل التشكيك بمفاهيم الإسلام وأحكام الأسرة، إذ إن عقد الزواج لا يمت للبيع والشراء بصلة، ولا تُملّك الزوجة مقابل الصداق، بل هو نحلة وهدية للمرأة، ومن المعلوم إنّ الهدية تؤلف بين القلوب وتزيد المحبة وتآلف الأرواح، وتترك أثرًا نفسيًا طيبًا، فالمهر؛ لأجل إعزاز المرأة والعناية بها وتلبية احتياجاتها.

وبناءً على ذلك فالمهر لا يرتبط ولا يمت بأية صلة لمسألة قضاء الشهوة، ولذلك جعل الإسلام المهر توافقًا وتراضيًا بين الرجل والمرأة، ولم يحدده بقدر أو يميز بين قيمة امرأة أو أخرى، بل جعل الأمر على نحو التفاهم.

فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام قال: ((سألته عن المهر ما هو؟ قال: ما تراضى عليه الناس))[١٨].

وروي أيضًا عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: ((الصداق ما تراضيا عليه من قليل أو كثير فهذا الصداق))[١٩].

فالمهر هو نحلة وهدية من الزوج باختياره وبتراضي الطرفين، ولذلك لا يمكن اعتبار قيمة المرأة بمقدار مهرها، وقد أفتى الفقهاء بأنه يصح أن يكون المهر كل ما يمكن أن يملكه المسلم وله مالية عرفًا، سواء كان عينًا أو دينًا أو منفعة، ويصح أيضًا جعله منفعة الحر، حتى عمل الزوج نفسه كتعليم صنعة أو سورة ونحوه من كل عمل محلل[٢٠].

جاء في منهاج الصالحين: ((لا تقدير للمهر في جانب القلة، فيصح ما تراضى عليه الزوجان وإن قل ما لم يخرج بسبب القلة عن المالية – على ما مر – كحبة من الحنطة، وكذا لا تقدير له في جانب الكثرة، نعم يستحب أن لا يتجاوز به مهر السنة وهو خمسمائة درهم، فلو أراد التجاوز جعل المهر مهر السنة وبذل الزيادة))[٢١].

وهذا ما اتفقت عليه الروايات الشريفة وهو أن المهر

تراضٍ بين الطرفين، سواء أكان قليلًا أم كثيرًا.

ثانيًا: يستحب العقد بمهر السنة

وهو المهر الذي كان يجعله الرسول الأعظم ﷺ لبناته وزوجاته، إذ يستحب ألا يتجاوز مهر السنة، ويسمى "مهر فاطمة الزهراء عليها السلام" وهو خمسمائة درهم على المشهور، وهو ما يعادل ١٥٠٠ غرام من الفضة.

فقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال لعلي عليه السلام: تكلّم خطيبًا لنفسك... إلى أن قال: وهذا رسول الله زوّجني ابنته فاطمة على خمسمائة درهم، وقد رضيت، فاسألوه واشهدوا[٢٢]، وفي رواية أخرى: زوّج النبي ﷺ فاطمة عليًا عليها السلام على أربعمائة وثمانين درهمًا[٢٣].

غير أنّ هذا التحديد ليس تحديدًا إلزاميًا بل يشير إلى مبدأ الاعتدال في المهور، يراد منه مقاومة ظاهرة المبالغة في المهور التي تحوّل الزواج إلى معاملة مالية.

ثالثًا: مهر المثل ومبدأ العدالة التناسبية

إذا لم يُذكر المهر في عقد الزواج، فإن حصل الجماع، صح العقد وكان لها مهر المثل، وهو مهر من تماثلها في الصفات والظروف، وهذا الحكم يعد تعبيرًا عن العدالة التناسبية التي يقوم عليها الفقه الجعفري في باب المعاوضات والالتزامات، إذ يُلزم الشارع بإرجاع التقدير إلى العرف النوعي لا الفردي، أي إلى الموازنة بين الأقران لا الأفراد.

وبحسب فتاوى الفقهاء: فإنّ تحديد مهر المثل منوط بملاحظة جملة من الخصوصيات والاعتبارات النوعية والشخصية، إذ يُلحظ فيها المكانة الاجتماعية، والجمال، والعمر، والبكارة، والمستوى المالي، وما يترتّب على ذلك من تفاوت في موقعها العرفي، بحيث تكون جميع هذه العوامل بمثابة الموجِّهات العرفية لتعيين مقدار مهر المِثل، الذي ينسجم مع الموازين المعتبرة عند العقلاء[٢٤].

ويمكن في الفقه المعاصر أن يُستفاد من هذه القاعدة في معالجة النزاعات القضائية، إذ يتيح تحديد مهر المثل بناءً على تقارير خبراء أو مراكز اجتماعية مختصة، لا مجرد الاجتهاد الشخصي للقاضي.

وقد استوعب التعديل الجديد للقانون الجعفري لسنة ٢٠٢٥ هذا المعنى، إذ جاء في المادة ٤٦: ((المهر: ويسمى الصداق أيضًا، وهو ما تستحقه الزوجة بجعله في العقد أو بتعيينه بعده ويعبّر عنه بـ (المهر المسمى)، او ما تستحقه بسبب الدخول بالمرأة أو ما بحكمه، ويعبر عنه بـ (مهر المثل)))[٢٥].

رابعًا: المهر المعجّل والمؤجّل – بين الفقه والعُرف الحديث

في العُرف الحديث جعلوا المهر مجزّأً على قسمين:

أحدهما: المهر المعجّل: هو ما يُدفع عند العقد أو قبله، أو بعد الدخول.

الآخر: المهر المؤجل: يُدفع لاحقًا بحسب الشرط المذكور في العقد، إذ لا بد أن يُعيّن في الأجل، كأن يكون بعد سنة أو أكثر، أو عند المطالبة والميسرة، أو عند القدرة والاستطاعة.

وقد نصّ الفقهاء على أنّ تأجيل المهر جائزٌ مطلقًا ما لم يُفضِ إلى جهالة فاحشة، بل يصحّ حتى لو كان الأجل مبنيًّا على مرتكزٍ عرفي كالموت أو الطلاق، ما دام العرف يُحدده ويُحرّر جهالته[٢٦].

وجاء في المادة (٤٩) من التعديل الجديد لقانون الأحوال الشخصية العراقي على وفق المذهب الجعفري: ((إذا أجّل المهر – كُلًا أو بعضًا – وجب

تعيين الأجل بما يرفع الإبهام التام – كتحديده بأقرب الأجلين أو عند القدرة والمطالبة – ، فلو كان الأجل مبهما بحتًا – كمضي مدةٍ ما صحّ العقد وصحّ المهر وسقط التأجيل))[٢٧].

خامسًا: البعد الاجتماعي للمهر في ضوء التحوّلات الحديثة

إنّ النظر في دلالة المهر يُفضي إلى كونه نحلة وهدية للمرأة، لا أن يكون المهر عوضًا عن شيء، أو ثمناً مقابل حق، ولا باعتباره موضوعًا للتمليك، بل وردت النصوص لتدلّ على كونه تكريمًا لها.

وكان المهر في المراحل الأولى يُمارس ضمن فضاءٍ أسريّ تقليدي، يخضع لتفاهمات عرفية، ولكن من تطور البنية الاجتماعية الحديثة، ودخول الدولة كمنظومة ضابطة للعلاقات الأسرية، تحوّل المهر إلى مؤسسة قانونية ذات أثر اجتماعي مباشر، تترتب عليها التزامات مالية قابلة للتنفيذ القضائي.

وهذا التحوّل من الفردي إلى المؤسسي ليس خروجًا عن مقاصد الشريعة، بل هو من صور تفعيل النص ضمن قانون يضمن حق الطرفين.

سادسًا: المهر ومشكلة المغالاة

من أبرز التحوّلات الاجتماعية التي واجهت بنية المجتمع الإسلامي في العقود الأخيرة هي ظاهرة المغالاة في المهور، التي أفرزت أزماتٍ بنيوية في منظومة الأسرة، وأثّرت بصورة مباشرة في معدّلات الزواج والطلاق، حتى باتت تمثّل إحدى العقبات في تكوين الأسرة.

فالحرية التي أقرّها الفقه سمحت بأن يكون المهر مطلقًا في القلة والكثرة، إلا أنّ هذه الإباحة حين أُسيء استعمالها تحولت إلى أداةٍ ضغطٍ اجتماعي، تمارسها بعض الأسر بدافع التفاخر أو الوجاهة أو ضمان المستقبل المالي للزوجة، فصار المهر أحيانًا مانعًا من الزواج لا وسيلةً إليه، ومصدرًا للمفاسد بدل أن يكون مظهرًا للمودة والرحمة.

لقد واجه الفقه الجعفري هذه الظاهرة عبر الإرشاد لا الإلزام، فدعا إلى التيسير والحثّ على مهر السنّة، وعدّه مظهرًا من مظاهر الاقتداء بالرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطاهرين، وأكّد أهل البيت عليهم السلام أنّ خير النساء أيسرهنّ صداقًا، وتدعو روح الشريعة إلى تخفيف الأعباء المالية في الزواج؛ لأنّ المقصود من المهر هو إظهار الرغبة والإكرام، لا إثقال الكاهل والإلزام.

الخاتمة

لقد أظهر البحث أنّ المهر في أصل تشريعه إنما هو نحلة وهديّة، أراد الله تعالى في تشريعه أن يوطّد دعائم الأسرة ويؤسس رباطًا من المودة والرحمة بين الزوجين، ومن هنا، لم يقيّده الشارع بحدّ معيّن من القلّة أو الكثرة، بل ترك أمره إلى التراضي، فجعل معيار الصحة فيه هو المالية العرفية، إذ يُمكن أن يكون قليلًا أو كثيرًا، عينًا أو دينًا، منفعةً أو عملًا، ما دام مما يعدّ مالًا في أعراف الناس.

كما كشف البحث عن أهميّة (مهر السنة) اقتداءً برسول الله صلى الله عليه وآله لابنته الزهراء عليها السلام، إذ جعله علامة على التيسير، لأجل الاقتداء بسيرته المباركة، فكان بذلك مقياسًا أخلاقيًا يحدّ من المغالاة.

ومن نتائج هذا البحث أيضًا أنّ المهر إذا لم يُسمَّ في العقد، أو وقع الخلل في تسميته، رجع الحكم إلى

"مهر المِثل"، وهو ما يقدَّر تبعًا لمقتضيات المكانة الاجتماعية والصفات الشخصية وما يُتعارف عليه في بيئة المرأة وأمثالها، فيتحقق بذلك حفظ حقها وعدم ضياع كرامتها، المحكومة بالمرتكزات الشرعية والعرفية.

وبذلك يبرز أنّ المهر ـ بمختلف تقسيماته من مسمّى وسنة ومِثل، ومعجّل ومؤجّل ـ إنما هو حق ثابت، تجتمع على غاية واحدة، هي صيانة حق المرأة، وتعزيز مكانتها، وتشييد العلاقة الزوجية على أسس من العدل والمودة والاحترام، فهو ليس عبئًا ماديًا، ولا عرفًا فارغًا من المضمون، بل هو تشريع مقصود لذاته، يجمع بين الرمزية المعنوية والضمانة الحقوقية.

من هنا نستخلص أنّ المهر، في فلسفة التشريع الإسلامي، يمثّل أحد الأعمدة التي ينهض عليها صرح الأسرة، ويعبّر عن رؤية الإسلام المتوازنة في الجمع بين الروح والمادة، وبين الحق والواجب، وبين المقاصد العليا للعقد والحقوق الجزئية للزوجين، ليظل الزواج في الإسلام عقدًا مقدسًا يشيع الطمأنينة، ويؤسس للسكينة التي أرادها الله تعالى لعباده.

١-ابن دريد، جمهرة اللغة: ٢/ ٨٠٤.

٢-ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: ٥/ ٢٨١.

٣-ابن منظور، لسان العرب: ٥/ ١٨٤.

٤-ظ: مكارم الشيرازي، أنوار الفقاهة في أحكام العترة الطاهرة: ٣/ ١١٥.

٥-الشهيد الثاني، زين الدين العاملي، مسالك الأفهام: ٨/ ١٥٧.

٦-الجواهري، محمد حسن النجفي، جواهر الكلام: ٣١/ ٢.

٧-ظ: مكارم الشيرازي، أنوار الفقاهة: ٣/ ١١٦.

٨-ظ: الطوسي، التبيان في تفسير القرآن: ٣/ ١٠٩.

٩-ظ: الطبرسي، تفسير مجمع البيان: ٣/ ٦١-٦٢.

١٠- مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل بن سليمان: ١/ ١٢٦.

١١-التبيان في تفسير القرآن: ٢/ ٢٧٢.

١٢-الكليني، الكافي: ٥/ ٣٨٣.

١٣- المصدر نفسه.

١٤-الحر العاملي، وسائل الشيعة: ٢١/ ٢٦٦.

١٥-الكليني، الكافي: ٥/ ٣٧٨.

١٦- المصدر نفسه.

١٧-جريدة الوقائع العراقية، العدد ٤٨٤٣، لسنة ٦/ ١٠/ ٢٠٢٥م، (مدونة الأحكام الشرعية في مسائل الأصول الشخصية وفق المذهب الشيعي الجعفري)، ملحق القانون رقم (١)، ص١١.

١٨-الكليني، الكافي: ٥/ ٣٧٨.

١٩-المصدر نفسه.

٢٠-الخوئي، منهاج الصالحين: ٢/ ٢٧٩، السيستاني، منهاج الصالحين: ٣/ ٩٠.

٢١-السيستاني، منهاج الصالحين: ٣/ ٩٠.

٢٢-حسين بن جبر، نخب المناقب لآل أبي طالب: ٢/ ٥٧٥.

٢٣- المصدر نفسه.

٢٤-ظ: الشيخ الجواهري: جواهر الكلام، ٣١/ ٥٢.

٢٥- جريدة الوقائع العراقية، العدد ٤٨٤٣، لسنة ٦/ ١٠/ ٢٠٢٥م، (مدونة الأحكام الشرعية في مسائل الأصول الشخصية وفق المذهب الشيعي الجعفري)، ملحق القانون رقم (١)، ص١١.

٢٦- ظ: الحكيم، محمد سعيد، منهاج الصالحين: ٣/ ٤٤.

٢٧-جريدة الوقائع العراقية، العدد ٤٨٤٣، لسنة ٦/ ١٠/ ٢٠٢٥م، (مدونة الأحكام الشرعية في مسائل الأصول الشخصية وفق المذهب الشيعي الجعفري)، ملحق القانون رقم (١)، ص١١.

مع الحـــق

- ولادة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف

الباحث: محمد صابر الجعفري
الجمهورية الإسلامية الإيرانية/ قم المقدسة

- المهدي الموعود وعصرنا الحاضر

الشيخ الدكتور منجد الكعبي
كلية أصول العلم - بغداد



ولادة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف

الباحث: محمد صابر الجعفري
الجمهورية الإسلامية الإيرانية/ قم المقدسة

إثبات ولادة أي شخص يعتمد أساسًا على إعلان والده، وشهادة القابلة، التي كانت عونًا لأمه عند الولادة، حتى لو لم ير الطفل أحد غيرهما، فلا ينقض ذلك صحة الولادة، وإن بعد ولادة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، شاهده العديد من الناس، وأعماله وتعاليمه ووصاياه ومراسلاته أثبتت مكانته، كما أن وكلاءه ومبعوثيه كانوا معروفين، وكان له أتباع كثيرون في كل عصر وجيل.

إلى جانب ذلك، هناك أحاديث كثيرة تؤكد ولادته، سواء عن طريق روايات العموم عن الإمامة، كحديث الثقلين، وحديث ((اثني عشر خليفة))، أو عن طريق الروايات الخاصة في بشارات الأئمة عليهم السلام، ذلك كله يثبت وجود الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف.

أمثلة من الروايات

١. روي عن أحمد بن إسحاق أنه قال: سمعت الإمام الحسن العَسْكَرِي عليه السلام يقول: ((الحمد لله الذي لم يخرجني من الدنيا حتى أراني الخلف من بعدي، ما أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله خَلْقًا وخُلُقًا، يحفظه الله تبارك وتعالى في غيبته، ويظهره فيملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما مُلئت جورًا وظلمًا))[١].

٢. الإمام الهادي عليه السلام قال: ((إن الإمام بعدي الحسن ابني، وبعد الحسن ابنه القائم الذي يملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما مُلئت جورًا وظلمًا))[٢].

٣. عن أبي غانم، خادم الإمام الحسن عَسْكَرِي عليه السلام قال:))وُلِد لأبي محمد عليه السلام ولد فسماه محمدًا، فعرّضه على أصحابه يوم الثالث وقال: هذا صاحبكم من بعدي وخليفتي عليكم، وهو القائم، الذي تمتد إليه الأعناق بالانتظار، فإذا امتلأت الأرض جورًا وظلمًا خرج فملأها قسطًا وعدلًا))[٣].

بناءً على هذه الروايات يمكن القول بأن تواتر معنى الولادة في الأحاديث ثابت.

كيف كانت ولادة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف؟

ولادة الإمام المهدي عليه السلام كانت استثنائية، وكانت الحاجة لإخفائها ضرورة؛ بسبب المخاوف من السلطة العباسية، إذ جرت مسيرة الإمامة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله أن استعمل الأئمة استراتيجيات محددة للحفاظ على مقام الإمامة، وبحلول زمن الإمام الحسن العَسْكَرِي عليه السلام، اشتدت مخاوف بني العباس، إذ كانت هناك أحاديث تفيد بأن من وُلد الحسن عليه السلام سيظهر خليفة، يقضي على الظلم والظالمين ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً؛ لذلك تم إخفاء ولادة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف عن العامة، وكان على علم بها أقرباؤه فقط، مع رؤيته أحيانًا متقطعة وغير منتظمة.

وقد روت حكيمة عمة الإمام العسكري عليه السلام تفاصيلَ لَيْلَةِ وِلادَةِ نَرجِسَ أُمِّ الإمام المَهْدِيّ عليه السلام عندما وَلَدَتْ ابنها: ((... وَ إِذَا أَنَا بِهَا وَعَلَيْهَا مِنْ أَثَرِ النُّورِ وَإِذَا أَنَا بِالصَّبِيِّ عليه السلام سَاجِداً لِوَجْهِهِ، جَاثِياً عَلَى رُكْبَتَيْهِ، رَافِعاً سَبَّابَتَيْهِ، وَهُوَ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ جَدِّي مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ، وَأَنَّ أَبِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، ثُمَّ عَدَّ إِمَاماً إِمَاماً إِلَى أَنْ بَلَغَ إِلَى نَفْسِهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، وَأَتْمِمْ لِي أَمْرِي، وَثَبِّتْ وَطْأَتِي، وَامْلَأْ الْأَرْضَ بِي عَدْلًا وَ قِسْطا))[٤].

إخفاء الولادة وفلسفته

إحدى الخصائص الأساسية لولادة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف هي إخفاؤها، وقد أكدها الأئمة في روايات عدة:

١- الإمام السجاد عليه السلام: ((في القائم منا سنن من سنن الأنبياء... وسنة من إبراهيم ... وأما من إبراهيم فخفاء الولادة واعتزال الناس))[٥].

٢- الإمام الباقر عليه السلام: ((انظروا من تخفى على الناس ولادته فهو صاحبكم))[٦].

٣- الإمام الصادق عليه السلام: ((صاحب هذا الأمر تعمى ولادته على الخلق، ليكون بيعة أحد لا تلزمه عند ظهوره))[٧].

فالفلسفة الأساسية هي (حفظه من الخطر)، بمعنى حماية الإمام من الاغتيال قبل أن يحين وقت ظهوره، بحيث لا يُقتل وتُحرم الأمة من القيادة الإلهية.

ثم أن خلفاء بني العباس كانوا على علم بوجود المهدي عجل الله فرجه الشريف وفق ما ورد من الروايات، فحاولوا قتل الطفل، لذا قبل إخفاء خبر ولادته من خلال مراقبتهم له، إلا أن الله حفظه، وقد ورد في التاريخ أن المعتَمد العباسي أمر القابلات بتفحّص بيت الإمام العسكري عليه السلام فخابت مساعيهم وكانت بلا جدوى، وقد أرشد الله تعالى هذا الإخفاء ليوازي حماية موسى عليه السلام من فرعون، إذ إن ولادته كانت سرية حفاظًا على حياته.

إثبات ولادة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف

ومنعاً لتسرب الوهم للشيعة عند اخفاء خبر ولادة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، فيما يرتبط بهويته عليه السلام، فيكون ذلك سبباً لعدم المعرفة به، فكان الكشف عن ذلك أمراً ضرورياً جداً، فأقام أبوه الإمام الحسن العسكري عليه السلام دلائل وأثباتات:

أ. بشارة الإمام العسكري عليه السلام بولادة المهدي عليه السلام

•في رواية جاء فيها أن الإمام الحسن العسكري عليه السلام أحيانًا يُخبر أصحابه المقربين عن مولده قائلاً: ((سيرزقني الله ولداً بمنه ولطفه))[٨].

•وبشارة إلى زوجته السيدة نرجس: ((ستحملين ولدًا واسمُه محمد، وهو القائم من بعدي))[٩].

ب. إبلاغ الإمام العسكري عليه السلام عن ولادة المهدي عجل الله فرجه الشريف.

•في روايات كثيرة، أخبر الإمام الحسن العسكري عليه السلام أصحابه المقربين عن ولادة ابنه: ((الحمد لله الذي لم يخرجني من الدنيا حتى أراني الخليفة من بعدي، أشبه الناس برسول الله خلقًا وخلقًا، يحفظه الله تبارك وتعالى في غيبته، ثم يظهره فيملأ الأرض عدلًا وقسطًا كما ملئت جورًا وظلمًا))[١٠].

•إبراهيم بن إدريس يقول: ((وجّه إليّ مولاي أبو محمد عليه السلام ... بكبشين وكتب بسم الله الرحمن الرحيم عقّ هذين الكبشين عن مولاك، وكل هنّأك الله، وأطع إخوتك، ففعلت))[١١].

(الغيبة للطوسي، ص٢٤٦)

ج. خبر السيدة حكيمة عمة الإمام العسكري عليه السلام

•حضرت ليلة ولادة الإمام المهدي عليه السلام بأمر صريح من الإمام العسكري عليه السلام، ونقلت كثيراً من روايات ولادته، وكانت الوحيدة المشاركة في أحداث ليلة الولادة.

د. خبر نسيم وماريا (خادمي بيت الإمامة)

•حضرا ليلة الميلاد في بيت الإمام العسكري عليه السلام، ورويت عنهما تفاصيل الولادة: ((عندما سقط

صاحب الزمان عجل الله فرجه الشريف من بطن أمه، سقط جاثيًا على ركبتيه رافعًا سبابته إلى السماء ثم عطس وقال: الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله))[١٢].

•بعد عشرة أيام من ولادة الإمام، دخل نسيم إلى الطفل فعطس، فقال له الطفل: يرحمك الله، ثم قال: ((ألا أبشرك في العطاس؟ هو أمان من الموت ثلاثة أيام))[١٣].

هـ. تقارير كبار الشيعة

•روى كثير من خدم الأئمة وأصحابهم أخبارًا عن رؤية الإمام بعد الولادة، منهم: (أبو الأديان)، الذي كان يحضر في بيت الإمام الحسن العسكري عليه السلام ويتولى شؤون رسائله، وروى شهادة الإمام العسكري عليه السلام وصلاة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف على ذلك[١٤].

و. تقارير بعض علماء أهل السنة

غالبية أهل السنة – كما يرى الشيعة – لا يعتقدون بوجود ميلاد المهدي المنتظر، إلا أن عددًا من علمائهم أشاروا إلى ولادته انها حصلت في عام ٢٥٥ هـ، ورؤيته كالموعود المذكور في كلام النبي الأكرم صلى الله عليه وآله.

ومن الأشخاص الذين أشاروا إلى ولادة الإمام المهدي عليه السلام يُقسمون على فئتين:

أولًا: بعض الذين أفادوا بولادته، لكن صمتوا عن كونه الموعود:

١.ابن الأثير (ت: ٦٣٠ هـ) قال في حوادث سنة ٢٦٠ هـ: ((وفيها توفّي أبو محمد العلوي العسكري، وهو أحد الأئمة الإثني عشر على مذهب الإمامية، وهو والد محمد الذي يعتقدونه المنتظر))[١٥].

٢.ابن خلكان (ت: ٦٨١ هـ) قال: ((أبو القاسم محمد بن الحسن العسكري بن علي الهادي بن محمد الجواد المذكور قبله، ثاني عشر الأئمة الإثني عشر على اعتقاد الإمامية المعروف بالحجّة... كانت ولادته يوم الجمعة منتصف شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين))[١٦].

٣.الذهبي (ت: ٧٤٨ هـ) اعترف بولادة المهدي عليه السلام في ثلاثة من كتبه، فقال في أحدها: ((وفيها أي: في سنة ٢٥٦ هـ وُلد محمد بن الحسن بن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق العلوي الحسيني، أبو القاسم الذي تلقّبه الرافضة بالخلف الحجّة، وتلقّبه بالمهدي، والمنتظر، وتلقّبه بصاحب الزمان، وهو خاتمة الإثني عشر))[١٧].

ثانيًا: اعترافات بخصوص كونه المهدي الموعود

هناك اعترافات عدة من علماء أهل السنة بخصوص كون المهدي الموعود بظهوره في آخر الزمان هو محمّد بن الحسن العسكري عليهما السلام، الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت عليهم السلام، الذين هم أئمة للمسلمين جميعًا، ومن هؤلاء:

١.كمال الدين محمد بن طلحة الشافعي (ت: ٦٥٢ هـ) قال:)) محمّد بن الحسن الخالص بن عليّ المتوكّل ابن القانع بن عليّ الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمّد الباقر بن عليّ زين العابدين بن الحسين الزكي بن عليّ المرتضى أمير المؤمنين بن أبي طالب، المهدي، الحجّة، الخلف الصالح، المنتظر عليهم السلام. ورحمة الله وبركاته))[١٨].

٢.سبط ابن الجوزي الحنبلي (ت: ٦٥٤ هـ) قال: ((هو محمّد بن الحسن بن عليّ بن محمّد بن عليّ بن موسى الرضا بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام، وكنيته أبو عبد الله، وأبو القاسم، وهو الخلف الحجّة، صاحب الزمان،

القائم، المنتظر، التالي، وهو آخر الأئمة))[١٩].

٣.محمد بن يوسف أبو عبد الله الكنجي الشافعي (ت: ٦٥٨ هـ) في آخر صحيفة من كتابه كفاية الطالب عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام: ((مولده بالمدينة في شهر ربيع الآخر، سنة ٢٥٥ هـ، وقبض يوم الجمعة لثمان خلون من شهر ربيع الأول سنة ٢٦٠ هـ، وكان حينها عمره ثماني وعشرين سنة، ودُفن في داره بسرّ من رأى في البيت الذي دفن فيه أبوه، وخلف ابنه الإمام المنتظر صلوات الله عليه))، كما خصّص كتابًا لذكر الإمام المهدي باسم البيان في أخبار صاحب الزمان، مطبوع بنهاية كتابه الأول كفاية الطالب، وذكر فيه إثبات كون المهدي حيًّا باقٍ منذ غيبته حتى يملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما مُلئت ظلمًا وجورًا[٢٠].

٤.نور الدين علي بن محمد بن الصباغ المالكي (ت/ ٨٥٥ هـ) عنون الفصل الثاني عشر من كتابه الفصول المهمة بعنوان: (في ذكر أبي القاسم الحجّة، الخلف الصالح، ابن أبي محمّد الحسن الخالص، وهو الإمام الثاني عشر)[٢١].

وقت الميلاد:

اتفقت معظم الروايات على ولادته ليلة النصف من شعبان سنة ٢٥٥ هـ، ما أضفى فضلًا خاصًا على هذه الليلة المباركة[٢٢].

الإجابة عن بعض الشبهات حول الولادة

١.إخفاء الولادة مخالف للعُرف؟

ج/ ليس هو كذلك، فالتاريخ يشهد حالات مشابهة، منها ولادة موسى عليه السلام وسرية ولادة إبراهيم عليه السلام؛ لأسباب حماية الطفل من القتل.

٢.إنكار جعفر بن علي لوجود ولد؟

ج/ أفعال غير المعصومين لا يمكن أن تكون دليلًا، إنكار جعفر كان طبيعيًا بسبب مصالح شخصية ومالية، بينما الإمام العسكري عليه السلام كان المرجع الديني الأعلى للشيعة.

٣.وصية الحسن بن علي لأم الحسن بعد وفاتها؟

ج/ الوصية تؤكد حفظ ولادة المهدي عجل الله فرجه الشريف وأمانه من الأعداء، وليس نفي وجوده.

١.الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة: ٢/ ٤٠٩.
٢.المصدر نفسه: ٢/ ٣٨٣.
٣.المصدر نفسه: ٢/ ٤٣١.
٤.المصدر نفسه: ٢/ ٤٢٨.
٥.المصدر نفسه: ٢/ ٥٦٧.
٦.المصدر نفسه: ١/ ٣٢٥.
٧.المصدر نفسه: ٢/ ٤٧٩.
٨.المجلسي، بحار الأنوار: ٥٠/ ٣١٣.
٩.الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة: ٢/ ٤٠٨.
١٠.المصدر نفسه.
١١.الطوسي، الغيبة: ٢٤٦.
١٢.المصدر نفسه: ٢٤٤.
١٣.الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة: ٢/ ٤٣٠.
١٤.ظ: المصدر نفسه: ٢/ ٤٧٥.
١٥.ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٧/ ٢٧٤.
١٦.ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٤/ ١٧٦.
١٧.الذهبي، العبر في خبر من غبر: ٣/ ٣١.
١٨.الشافعي، كمال الدين محمد بن طلحة، مطالب السؤول: ٢/ ٧٩.
١٩.سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص: ٣٦٣.
٢٠.ظ: الكنجي الشافعي، البيان في أخبار صاحب الزمان: ٥٢١.
٢١.ظ: ابن الصباغ المالكي، الفصول المهمة: ٢٨٧-٢٠٠.
٢٢.ظ: الكليني، الكافي: ١/ ٥١٤؛ والصدوق، كمال الدين وتمام النعمة: ٢/ ٤٢٤؛ والطوسي، الغيبة: ١٤٧.



المهدي الموعود وعصرنا الحاضر

الشيخ الدكتور منجد الكعبي
كلية أصول العلم - بغداد

تُعَدّ العقيدة بالإمام المهدي الموعود عجل الله تعالى فرجه الشريف من أهمّ المعتقدات المشتركة بين المسلمين، بل تجد جذورها في الشرائع السماوية كافة، فهي تعبّر عن تطلّع فطريّ نحو العدالة الشاملة والخلاص من الظلم والطغيان. وفي عصرنا الراهن، ومع تصاعد التحديات الفكرية والاجتماعية والسياسية، تبرز هذه العقيدة كمنارة أمل، تحفظ للمؤمن توازنه النفسي والإيماني، وتوجّه الأمة نحو الصمود بانتظار الوعد الإلهي بالاستخلاف والتمكين.

المحور الأول: الأساس القرآني والروائي لعقيدة الموعود

ورد في القرآن الكريم ما يشير إلى وعد الله للمستضعفين بالاستخلاف والتمكين، قال تعالى: **﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾** [القصص: ٥]. كما جاء في آية أخرى: **﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾**

[النور: ٥٥].

أما الروايات الشريفة فقد أكّدت على هذا الموعود، ومن أبرزها قول النبي ﷺ: ((لو لم يبقَ من الدنيا إلا يوم لطوّل الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلاً من ولدي يواطئ اسمه اسمي، يملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما مُلئت ظلمًا وجورًا))[١].

وكذلك ما رُوي عن الإمام علي عليه السلام قوله: ((انتظروا الفرج ولا تيأسوا من روح الله، فإن أحب الأعمال إلى الله انتظار الفرج))[٢].

هذه النصوص ترسم الإطار الشرعي لعقيدة الانتظار، وتجعلها من صميم الإيمان، لا مجرد فكرة عاطفية أو حلم غيبي.

المحور الثاني: التحديات الفكرية والاجتماعية في عصرنا

يعيش العالم المعاصر حالةً من التحولات العميقة، أبرزها:

١. اليأس وفقدان الأمل: نتيجةً لكثرة الصراعات والحروب والظلم العالمي، بات الإنسان المعاصر أسيرًا لليأس والقلق. عقيدة المهدي تمنح الأمل وتفتح أفقًا جديدًا للتغيير.

٢.العولمة والمادية: مع سيطرة الثقافة المادية والاستهلاكية، تضعف القيم الروحية، وهنا يأتي دور الإيمان بالمهدي ليعيد التوازن، ويؤكد أنّ الغاية النهائية للإنسان هي العدل الإلهي لا الهيمنة المادية.

٣. الاستبداد والظلم: نشهد في منطقتنا والعالم هيمنة أنظمة استبدادية وقوى غاشمة، ما يرسّخ الحاجة إلى المصلح العالمي، الذي يملأ الأرض قسطًا وعدلاً.

إذن، فالعقيدة المهدوية ليست فكرة مستقبلية فحسب، بل هي رؤية عملية تعطي المؤمن وعيًا ورسالة في مواجهة الظلم والانحراف.

المحور الثالث: دور العقيدة بالإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف في صناعة الأمل والمقاومة

من أبرز أبعاد هذه العقيدة أنّها:

١-تمنح الأمل الفردي والجماعي: إذ يعيش المؤمن حالة انتظارٍ إيجابي، تدفعه للإصلاح الذاتي والمجتمعي استعدادًا لنصرة الإمام عليه السلام.

٢- تشجّع على مقاومة الظلم: فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: ((كل من سرّه أن يكون من أصحاب القائم فلينتظر، وليعمل بالورع ومحاسن الأخلاق))[٣]. فالانتظار ليس سكونًا بل حركة.

٣- توفّر رؤية استراتيجية: إذ يتيقّن المؤمن أنّ الظلم مهما طال، فمآله إلى الزوال، وأن العدالة ستتحقق بوعد الله.

بهذا المعنى، فإن العقيدة المهدوية هي قوةٌ للثبات والمقاومة في وجه التحديات، وليست مجرّد فكرة غيبية معزولة عن الواقع.

الخاتمة:

يتبيّن لنا أنّ عقيدة المهدي الموعود عجل الله فرجه الشريف ليست مجرد عقيدة غيبية مستقبلية، بل هي عقيدة حاضرة، تُعيد للأمة وعيها وهويتها في مواجهة التحديات الفكرية والاجتماعية والسياسية.

ففيها يتحقق التوازن بين الإيمان بالغيب والعمل في الحاضر، بين الانتظار والأمل، بين الحاضر والمستقبل، وهكذا تبقى فكرة الموعود ركيزة أساسية في حفظ الأمة من الانهيار، وتزويدها بدافع الصمود إلى أن يأذن الله تعالى بالفرج الموعود.

---

(١) الكليني، الكافي، ١/ ٣٣٨.

(٢) النعماني، الغيبة: ٢٠٠.

(٣) الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة: ٢/ ٣٣٨.

بلسانٍ علويٍّ مُبين

- الدور الاستراتيجي للأسرة في تربية جيل الانتظار قراءة تحليلية لضرورة الحجة في نهج البلاغة

د. مهدي حسين بور
جامعة الدفاع الوطني العليا
الجمهورية الإسلامية الإيرانية

- رؤية الإمام علي عليه السلام للأمن المجتمعي قراءة في نهج البلاغة ومقاربتها لواقع النزاعات المعاصرة

د خديجة حسن علي القصير
جامعة الكوفة/ كلية الآداب

الدور الاستراتيجي للأسرة في تربية جيل الانتظار
قراءة تحليلية لضرورة الحجة في نهج البلاغة

د. مهدي حسين بور
جامعة الدفاع الوطني العليا
الجمهورية الإسلامية الإيرانية



إن الأسرة في المنظومة الفكرية الإسلامية تتجاوز كونها وحدة بيولوجية أو عقداً اجتماعياً، بل هي بمثابة بيت الولاية والتجلي الأول لربط الأرض بالسماء، وفي عصر الغيبة الكبرى، حيث يواجه البشر أزمة الهوية وتعدد القراءات المادية، ارتقت مسؤولية الوالدين من تأمين الاحتياجات الأولية، لتصبح مهمة استراتيجية للتمهيد للظهور؛ فتربية جيل الانتظار هي سيرورة تندمج فيها المعرفة العلوية بـالمحبة المهدوية، يقول أمير المؤمنين عليه السلام، في بيانٍ يكشف عن عمق السيكولوجيا التربوية: ((وَإِنَّمَا قَلْبُ الْحَدَثِ كَالْأَرْضِ الْخَالِيَةِ، مَا لُقِيَ فِيهَا مِنْ شيء قَبِلَتْهُ))[1].

إن هذا التشبيه لقلب اليافع بالأرض الخالية يوضح حقيقة أن البنية النفسية للإنسان في مقتبل العمر تمتلك طاقة استيعابية غير محدودة، فإذا لم تزرع الأسرة بذور معرفة "حجة الله" في هذه الأرض، فستستولي عليها أعشاب الشبهات والشهوات الضارة، لذا فإن التربية المهدوية تعني المبادرة إلى بذر المعرفة؛ أي: قبل أن تزرع الثقافات الغريبة وعواصف الفكر في آخر الزمان بذور الشك في قلوب الأبناء، يجب على الأسر غرس بذور المعرفة والمحبة لحجة الله في هذه التربة المستعدة.

تبيين فلسفة الخلافة الإلهية:

إن أولى الواجبات المعرفية للأسرة هي تبيين هذه الحقيقة بأن العالم لم ولن يترك سدى بلا راع، فقد قال الله تعالى في بدء الخلق: {إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً}[البقرة:٣٠]، وتوضح هذه الآية أن الجعل الإلهي ليس واقعة تاريخية منقضية، بل هو سنة إلهية لا تقبل التخلف، فجريان الخلافة -على عكس الأحداث التاريخية المقطعية كسفينة نوح- هو قانون مستقر في نظام الوجود.

يجب على الوالدين تعليم الأبناء أن وجود الإمام ضرورة تكوينية، وأن الروايات من قبيل: ((لَوْ بَقِيَتِ الْأَرْضُ بِغَيْرِ إِمَامٍ لَسَاخَتْ ولَوْ أَنَّ الْإِمَامَ رُفِعَ مِنَ الْأَرْضِ سَاعَةً لَمَاجَتْ بِأَهْلِهَا..))[٢] تُظهر أن الإمام ليس مجرد قائد سياسي، بل هو واسطة الفيض بين الخالق والمخلوقين، وكما أنه لو حُذفت الشمس من المنظومة الشمسية لغرقت الكواكب في الظلمة والاضطراب، فإن غياب الإمام في نظام الوجود يؤدي إلى انهيار الحياة المعنوية والمادية للبشرية، كما يؤكد أمير المؤمنين عليه السلام ذلك بقوله: ((أَلا إِنَّ مَثَلَ آلِ مُحَمَّدٍ كَمَثَلِ نُجُومِ السَّمَاءِ))[٣]، إِذَا حَوَى نَجْمٌ طَلَعَ نَجْمٌ على أن هذا النظام من نجوم الهداية متصل ولا انقطاع فيه، لكي لا يبقى البشر أبداً في مأزق الضلال.

معرفة التبار والأصالة: التمايز عن الانحرافات الحديثة:

في عصر الغيبة، تعدُّ ظاهرة الأدعياء الكذبة والمهدويات المزيفة من أكبر الآفات، لذا تلتزم الأسرة بتبيين الهوية والأصالة النسبية للإمام الحجة (عجل الله تعالى فرجه الشريف) للجيل الصاعد، يوضح الإمام علي عليه السلام النسب الإلهي للأئمة قائلاً: ((إِنَّ الْأَئِمَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ غُرِسُوا فِي هَذَا الْبَطْنِ مِنْ هَاشِمٍ لَا تَصْلُحُ عَلَى سِوَاهُمْ))[٤]، وهذا الحصر النسبي يمثل ترسيماً للحدود المعرفية؛ ليعلم الابن أن الإمامة شجرة غُرست في أرض الوحي، ولا يستحق هذا المقام أحد سوى بني هاشم، ويرتبط هذا التأصيل بقول رسول الله صلى الله عليه وآله: ((لا يزال الإسلام عزيزاً إلى إثني عشر خليفة كلهم من قريش))[٥]، ليعلم الجيل الجديد أن عزة الإسلام عبر التاريخ رهينة بولاية هؤلاء الخلفاء الاثني عشر، فالإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) هو آخر هذه السلسلة وعصارة فضائل سلفه كما في قوله: ((أنا بَقِيةٌ مِنْ آدَمَ وَ ذَخِيرَةٌ مِنْ نُوحٍ وَ مُصْطَفَى مِنْ إبراهيم وَ صَفْوَةٍ مِنْ مُحَمَّدٍ))[٦]، وعن طريق تبيين هذه الجذور، يحمي الوالدان الأبناء من السقوط في فخ الالتقاط والانحراف.

تعليم البصيرة: معرفة الإمام الخائف المغمور في متن الحياة:

إن تبيين مفهوم الغيبة لذهن لا يؤمن إلا بالمحسوسات يتطلب عبوراً من الرؤية المادية إلى الرؤية الشهودية، ويمثل كلام علي عليه السلام في نهج البلاغة الأداة الأسمى لتعزيز البصيرة: ((اللَّهُمَّ بَلَى لَا تَخْلُو الْأَرْضُ مِنْ قَائِمٍ للهِ بِحُجَّةٍ، إِمَّا ظَاهِراً مَشْهُوراً وَ إِمَّا خَائِفاً مَغْمُوراً، لِئَلَّا تَبْطُلَ حُجَّجُ اللهِ وَ بَيِّنَاتُهُ))[٧]، ويظهر تحليل هذا الكلام أن الغيبة لاَ تعني عدم الحضور، بل تعني الخفاء عن الأنظار لمصالح إلهية وابتلاءً للخلق، فالإمام (عجل الله تعالى فرجه الشريف) بيننا ولكنه مغمور (أي مستور).

يجب على الأسرة إيصال الابن إلى مستوى من المعرفة تجعله سائرا على نهج علي عليه السلام، يرى الغائب حاضراً بنجواه: ((آهِ آهِ شَوْقاً إِلَى رُؤْيَتِهِم))[٨]، ويشعر بحضوره في شؤون الحياة كافة في هذه الرؤية، ومن ذلك قوله عليه السلام ((الإمام هو بَقِيَّةٌ مِنْ بَقَايَا حُجَّتِهِ))[٩]؛ أي الحجة الأخيرة وخليفة الأنبياء على الأرض، وحتى الحكماء كشيخ الإشراق، استلهموا من هذه التعاليم العلوية وأكدوا مقام القطبية للإمام.

تربية جيل الظهور:

التربية المهدوية في البيت لها هدف يتجاوز المعرفة الذهنية؛ الهدف النهائي هو إعداد أنصار "المصلح الكل"، فيصف أمير المؤمنين عليه السلام الإمام قائلاً: ((قَدْ لَبِسَ لِلْحِكْمَةِ جُنَّتَهَا وَ أَخَذَهَا بِجَمِيعِ أَدِبهَا))[١٠]، فعلى الأسرة تسليح الأبناء بسلاح الحكمة، وتعدُّ صفات أنصار الإمام ميثاقاً عملياً للوالدين: ((ثُمَّ لَيُشْحَذَنَّ فِيهَا قَوْمٌ شَحْذَ الْقَيْنِ النَّصْلَ، تُجْلَى بِالتَّنْزِيلِ أَبْصَارُهُمْ، وَ يُرْمَى بِالتَّفْسِيرِ فِي مَسَامِعِهِمْ، وَ يُغْبَقُونَ كَأْسَ الْحِكْمَةِ بَعْدَ الصَّبُوحِ))[١١]، إن الشحذ يعني صقل السيف؛ وعلى الوالدين في كنف الأسرة صقل روح الأبناء في أتون الشدائد والمجاهدات الأخلاقية، لتتحرر من صدأ الركون إلى الدنيا، وجلاء الأبصار بـ التنزيل، يعني أن يأنس الابن بالقرآن لدرجة تجعله يحلل أحداث العالم بمنظار الوحي، إن أنصار المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) هم الذين ربطوا رهبنة الليل ببطولة النهار ((رُهْبَانٌ بِاللَّيْلِ لُيُوثٌ بِالنَّهَارِ))[١٢]، فالأسرة التي تقي أبناءها نار الجهل ﴿**قُوا أَنْفُسَكُمْ وَ أَهْلِيكُمْ نَاراً**﴾[التحريم:٦]، تقوم في الواقع بتربية جنود بصراء لجبهة الحق.

الإصلاح الفكري:

من واجبات الوالدين رسم صورة المدينة الفاضلة المهدوية للأبناء؛ ليعرفوا أي عالم ينتظرون، فبناءً على الخطبة (١٣٨) من نهج البلاغة، يُحدث الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) تحولاً جذرياً في الفكر البشري، فيقول أمير المؤمنين عليه السلام: ((يَعْطِفُ الْهَوَى عَلَى الْهُدَى... وَيَعْطِفُ الرَّأْيَ عَلَى الْقُرْآنِ))[١٣]، هذا الفراغ يفسر الإصلاح الفكري؛ أي ردّ البشر من الأهواء والنظريات الشخصية إلى حقيقة القرآن، وفي بُعد العدالة الاجتماعية، يحطم الإمام (عجل الله تعالى فرجه الشريف) الهياكل الفاسدة، ومن ذلك قول أمير المؤمنين عليه السلام: ((يَأْخُذُ الْوَالِي مِنْ غَيْرِهَا عُمَّالَهَا عَلَى مَسَاوِئِ أَعْمَالِهَا))[١٤]، ونتيجة هذه العدالة هي ازدهار الأرض والرفاه العام: تخرجُ له الأرضُ أفاليذَ كبدِها، كما أنه وفقاً للحديث النبوي تفيض المياه في دولته وتجري الأنهار وتُستخرج الكنوز[١٥]، إن تعليم هذه الصورة المشرقة يضاعف دافعية الجيل الجديد للمجاهدة في طريق الظهور.

وراثة المستضعفين والانسجام الولائي:

في نهاية هذا المسار التربوي، يجب على الأسرة إيصال الأبناء إلى الاعتقاد بأن انتصار الصالحين هو إرادة إلهية حتمية: ﴿**وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ**﴾[القصص:٥]، ويبشر أمير المؤمنين عليه السلام بقوله ((عَطْفَ الضَّرُوسِ عَلَى وَلَدِهَا)) [١٦] بعودة الدنيا العطوف إلى أهل البيت؛ فكما تعطف الناقة الشرسة على ولدها في النهاية، سيخضع التاريخ لآل محمد صلى الله عليه وآله بعد تمرد طويل.

إن أثر الأسرة هو تربية الفرد الذي يكون في لحظة الموعود ضمن الأنصار المنسجمين الذين شبّههم علي عليه السلام بقزع الخريف؛ وهي الغيوم التي تجتمع بسرعة وقوة حول يعسوب الدين، فإذا كان البيت مأمناً للمعرفة العلوية، لن يكون الظهور واقعة بعيدة، بل حقيقة في متناول اليد.

ختامه مسك:

إن التحليل المنهجي للتعاليم العلوية في نهج البلاغة يؤكد حقيقة أن المهدوية ليست حدثاً عرضياً في مسار التاريخ، بل هي الغاية التكاملية والثمرة العينية للشجرة الطيبة للخلافة الإلهية، هذا التيار المعرفي الضارب بجذوره في الأصول الوحيانية وتبيينات أمير المؤمنين عليه السلام العميقة، يرسم ضرورة وجود الحجة بوصفها حاجة تكوينية وتشريعية لبقاء العالم، وفي هذا السياق تضطلع مؤسسة الأسرة بوصفها الوحدة الأساسية لبناء المجتمع المهدوي بدور استراتيجي في نقل هذا التراث الكلامي للأجيال القادمة، فالأسرة المنتظرة مكلفة بالارتقاء بعملية التربية من مستوى المعرفة الذهنية إلى مستوى الاستعداد الوجودي والوظيفي، وأن معرفة ضرورة الحجة ينبغي أن لاتظل حبيسة الأبحاث الكلامية التجريدية، بل يجب تأسيسها كـنموذج حياة إيماني في نسيج الأسرة.

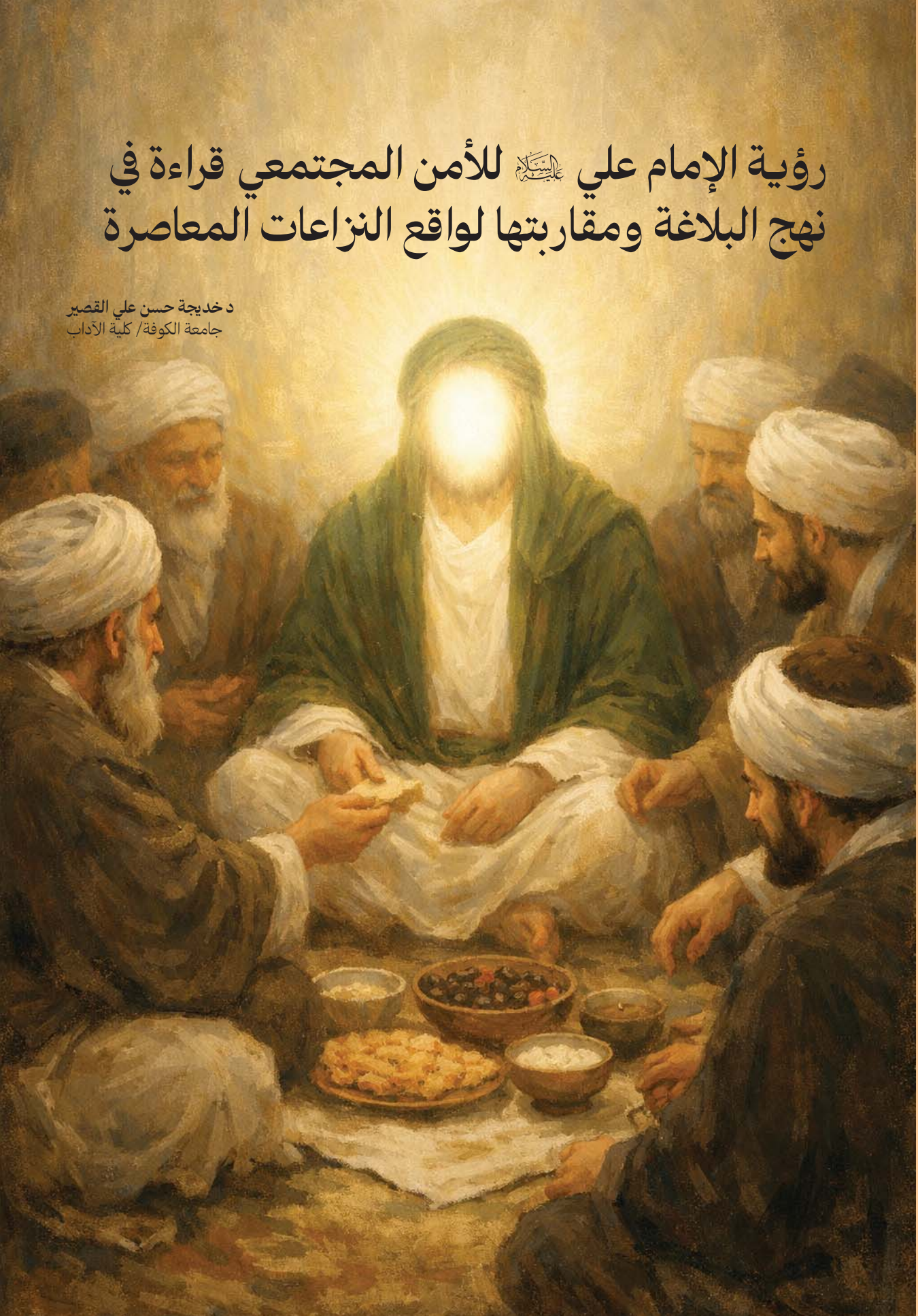
وفي الختام، يمكن القول: إن الانتظار في المدرسة العلوية قد خرج من حالة الركود والانفعال ليتحول إلى حراك هادف وصانع للحضارة، هذه الهوية التربوية هي الامتداد لمسار نشر العدالة العلوية عبر الزمن، وهدفها الأسمى هو التمهيد لتحقيق الدولة الكريمة المهدوية، وسيادة الصالحين على الأرض.

---

١. نهج البلاغة: الكتاب٣١.
٢. الكليني، الكافي: ١/ ١٩.
٣. نهج البلاغة: الخطبه١٠٠
٤. المصدر نفسه: الخطبة ١٤٤.
٥. السيوطي، الحاوي للفتاوي: ٢/ ٨٥.
٦. النعماني، الغيبة: ٢٨١.
٧. نهج البلاغة: الحكمة ١٤.
٨. النعماني، الغيبة: ٢٢٠.
٩. نهج البلاغة: الخطبة ١٨٢.
١٠. المصدر نفسه.
١١. المصدر نفسه: الخطبة ١٥٠.
١٢. المجلسي، بحار الأنوار: ٥٢/ ٣٠٨.
١٣. نهج البلاغة: الخطبة ١٣٨.
١٤. المصدر نفسه.
١٥. الصافي الكلبايكاني، منتخب الأثر، ٥٨٩.
١٦. نهج البلاغة: الحكمة ٢٠٩.

رؤية الإمام علي عليه السلام للأمن المجتمعي قراءة في نهج البلاغة ومقاربتها لواقع النزاعات المعاصرة

د خديجة حسن علي القصير
جامعة الكوفة/ كلية الآداب



تُعَدّ مسألة الأمن المجتمعي إحدى الركائز الجوهرية لأية نهضة إنسانية، إذ لا يُتصوَّر استقرار سياسي، أو ازدهار اقتصادي، أو تماسك اجتماعي من دونه، وقد أولى الفكر الإسلامي عناية خاصة بهذا البعد، إذ ربط الأمن بالعدالة وبصيانة الحقوق، بعيدًا عن اختزاله في البعد العسكري أو الأمني. ومن بين أبرز النصوص التي تناولت هذا الموضوع بعمق يأتي نهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، الذي يُعدّ مرجعًا أخلاقيًا وسياسيًا واجتماعيًا بالغ الأهمية في دراسة قضايا المجتمع والدولة[١].

قدّم الإمام علي عليه السلام عبر خطبه ورسائله رؤية متكاملة تجعل الأمن تمثّلا مباشرًا للعدل والإنصاف، فهو يؤكد أنّ المجتمع الذي يسوده الظلم لا يمكن أن ينعم بالاستقرار، وأنّ السلطة إذا فقدت بوصلة العدل تحوّلت إلى مصدر تهديد للأمن بدل أن تكون حامية له، ومن هنا تتضح قيمة الرؤية العلوية بوصفها إطارًا فكريًا يمكن أن يواكب أزمات الحاضر، لاسيما مع تفاقم النزاعات الأهلية وارتفاع وتيرة التطرف في أكثر من منطقة بالعالم[٢].

نجد في إعادة قراءة نصوص نهج البلاغة المجال على وفق مقاربة جديدة لمسألة الأمن المجتمعي، تقوم على أساس التوازن بين الحقوق والواجبات، وتعزيز العدالة الاجتماعية، وإعلاء قيمة السلم الأهلي فوق كل اعتبارات سياسية أو فئوية، وبهذا يتبيّن أنّ ما قدّمه الإمام علي عليه السلام لا ينتمي إلى الماضي فحسب، بل يقدم بديلًا فكريًا يمكن الإفادة منه في معالجة التحديات المعاصرة[٣].

العدل أساس الاستقرار:

ينطلق فكر الإمام علي عليه السلام في الأمن المجتمعي من قاعدة أساسية: العدل أساس الاستقرار، فهو في خطبه ووصاياه يوضح أنّ الظلم والفوضى هما العدو الحقيقي للأمن، وليس فقط القوى الخارجية أو الأزمات الاقتصادية، ففي خطبه يشير الإمام عليه السلام إلى ضرورة أن تكون السلطة ملتزمة بالحق، قائلاً ضمنيًا إنّ ((الملك بلا عدل لا يلبث أن يتحول إلى خطر على المجتمع))[٤]، وهو ما يوضح أن الأمن المجتمعي لا يتحقق إلا عن طريق ممارسات عادلة للسلطة وحقوق الأفراد، كما يربط الإمام عليه السلام بين السلام الداخلي للأمة والالتزام بالقيم الاجتماعية، حيث يدعو إلى الصدق في القول والعمل والوفاء بالعهد، مؤكدًا أن انسجام القيم الأخلاقية مع السلطة هو ما يضمن طمأنينة المجتمع واستقراره، هنا يظهر واضحًا أن الأمن عند الإمام علي عليه السلام ليس مجرد غياب للعنف، بل هو نظام متكامل يرتكز على الأخلاق، والحق، والعدالة[٥].

الأمن المجتمعي في رؤية الإمام علي عليه السلام:

ينطلق أمير المؤمنين عليه السلام في رؤيته للأمن المجتمعي من قاعدة مركزية مفادها أنّ العدل هو الأساس الذي تُبنى عليه استدامة الدولة واستقرار الناس، وهو ما يتجلى بوضوح في جملةٍ من خطبه في نهج البلاغة، ففي الخطبة الأولى[٦] يؤسّس الإمام لمفهوم

الأمن الروحي باعتباره مقدّمةً للأمن الاجتماعي، من خلال ترسيخ اليقين بالله والانتظام في نظامه العادل، وهو ما يُبرز انسجام المجتمع عندما يؤمن أفراده بأن العدالة مبدأ إلهي قبل أن يكون سياسيًا.

أمّا في الخطبة (الشقشقيّة)[٧] فيربط الإمام بين شرعية الحكم والعدل، موضحًا أن اغتصاب الحقوق يفتح باب الاضطراب السياسي والاجتماعي، وأنّ الاستقرار لا يتحقق بالقوة بل بإقامة الحق؛ وهي رسالة واضحة بأنّ الظلم يولّد القلق الجمعي ويهدد بنية الأمن الداخلي، وتبلغ هذه الرؤية ذروتها حيث يصف الإمام عليه السلام الله تعالى بأنه "عَدْلٌ عَدَلَ"[٨]، ليُقدّم أنموذجًا يُحتذى في الحكم، ويركّز على أنّ معونة الله (تثبت القلوب)، في إشارةٍ دقيقة إلى أن الأمن ليس أمنيًا فحسب، بل نفسي وأخلاقي أيضًا، وهكذا تتكامل خطب الإمام عليّ عليه السلام في رسم فلسفة متكاملة ترى أنّ العدالة ليست قيمة أخلاقية فقط، بل منظومة تُنتج الثقة، وتحدّ من الظلم، وتضمن استقرار المجتمع سياسيًا ونفسيًا وروحيًا.

وهذا يدل على أن رؤية الإمام عليّ عليه السلام للأمن المجتمعي تقوم على منظومة متكاملة تجعل العدل محورًا أساسيًا لاستقرار المجتمع وتماسكه وهذا ما تبينه خطبه عليه السلام كما أوردت، اذ نستشف منها فهمه العميق لعوامل الأمن الاجتماعي، إذ يؤكد عليه السلام أنّ الإنصاف بين الناس هو السياج الأول لحماية المجتمع من التفكك، وأنّ حرمان الفقراء والمستضعفين يُعدّ تهديدًا مباشرًا لوحدة الأمة، ويظهر ذلك في دعوته المستمرة إلى رعاية الطبقات المهمّشة والتخفيف عنهم، باعتبار ذلك جزءًا من بنية الأمن الداخلي، لا مجرد عمل أخلاقي، كما يشدد الإمام في وصاياه

إن رؤية الإمام عليّ عليه السلام للأمن المجتمعي تقوم على منظومة متكاملة تجعل العدل محورًا أساسيًا لاستقرار المجتمع وتماسكه.

الإدارية والسياسية على أنّ اختيار الولاة الصالحين شرطٌ لتماسك الدولة، لأنّ فساد المسؤولين يولّد الظلم، والظلم يفتح باب الاضطراب الاجتماعي، ويؤكد كذلك على مقاومة الجور، باعتبارها مسؤولية جماعية تحفظ المجتمع من هيمنة الظالم، وتمنع احتكار السلطة، ويتجلى هذا الفكر أيضًا في مبدئه القائم على التوازن بين الحزم والرحمة؛ إذ يرى أنّ الإفراط في القسوة يورث الخوف، والمبالغة في اللين تضعف هيبة الدولة، ولكنّ الاعتدال يضمن طمأنينة الناس وثقتهم.

وعن طريق هذا النظام الأخلاقي-السياسي، استطاع الإمام عليّ عليه السلام أن يضع تصورًا عمليًا لأمن المجتمع يقوم على العدالة، وكرامة الإنسان، وتوزيع الحقوق، ومراقبة السلطة، وهي مقومات تُعدّ في الفكر المعاصر ركائز أساسية للأمن المجتمعي المستدام[٩].

إدارة النزاعات بحكمة:

يتضح من منهج الإمام عليّ عليه السلام في إدارة النزاعات أنّه كان يرى أنّ معالجة جذور الخلاف مقدّمة ضرورية قبل اللجوء إلى مواجهة مظاهره الخارجية، إذ لم يكن

يعد الحرب هدفًا، بل وسيلة اضطرارية لا يُلجأ إليها إلا بعد استنفاد فرص الإصلاح والسلم الاجتماعي، فقد بيّن عليه السلام في خطبته المشهورة: ((أُنْبِئْتُ بُسْرًا قَدِ اطَّلَعَ الْيَمَنَ، وَإِنِّي وَاللهِ لَأَظُنُّ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ سَيُدَالُونَ مِنْكُمْ بِاجْتِمَاعِهِمْ عَلَى بَاطِلِهِمْ وَتَفَرُّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ وَبِمَعْصِيَتِكُمْ إِمَامَكُمْ فِي الْحَقِّ وَطَاعَتِهِمْ إِمَامَهُمْ فِي الْبَاطِلِ وَبِأَدَائِهِمُ الْأَمَانَةَ إِلَى صَاحِبِهِمْ وَخِيَانَتِكُمْ وَبِصَلَاحِهِمْ فِي بِلَادِهِمْ وَفَسَادِكُمْ))[10]، حين ألحّ عليه أصحابه بالقتال، أنّه ما أخّر الحرب يومًا إلا رجاء أن تلتحق به طائفة أخرى فتُهتدى بالحق قبل أن تُراق الدماء بلا ضرورة، وهو ما يكشف عن رؤية تربوية وإصلاحية تُقدّم الهداية على الحسم العسكري، وانسجامًا مع هذه الفلسفة، تؤكد رسالته إلى مالك الأشتر أنّ الإصلاح السياسي والاجتماعي لا يتحقق عبر القهر، بل عبر الرحمة بالرعية واحترام إنسانيتهم، فهم ((إما أخٌ لك في الدين، أو نظيرٌ لك في الخلق))، وهو توجيه يُلزم الحاكم أن يتعامل مع الناس بوصفهم شركاء في الوطن لا خصومًا سياسيين، ويمثّل هذا النهج منظومة أمنية متكاملة تعالج جذور التوتر، وتتحاشى الانفجار الداخلي، وتمنح المجتمع القدرة على تجاوز الخلاف قبل تحوّله إلى صراع دموي.

وهذا ما توضحه الدراسات المعاصرة التي ترى في فكر الإمام علي عليه السلام أنموذجًا سياسيًا يُقدّم الوقاية على العلاج، ويرسّخ الأمن عبر العدل والإنصاف لا عبر القوة، ولهذا فإن القتال في منهجه لم يُطرح يومًا بوصفه الحل الأول، بل آخر الأدوات عند تعذّر الهداية وانغلاق أبواب الإصلاح، وهو ما جعل رؤيته من أكثر الرؤى الإسلامية قدرةً على إنتاج استقرار مجتمعي قائم على العدل والرحمة، بدلًا من العنف وردود الأفعال الانفعالية.

كما يشير الإمام في وصاياه للولاة إلى أن توزيع الحقوق بعدالة بين أفراد المجتمع يمنع الظلم ويقطع الطريق أمام النزاعات، وهو ما يمكن قراءته في سياق مواجهة النزاعات المعاصرة، إذ أن الفجوات الاجتماعية والاقتصادية غالبًا ما تكون سببًا أساسيًا لانتشار التطرف[11].

الشمول والتوازن:

يمكن القول: إن منهج الإمام علي عليه السلام في بناء الأمن المجتمعي يتسم بالشمول والتوازن فالشمول يظهر في اهتمامه بجميع طبقات المجتمع، ليس فقط من الناحية السياسية أو القانونية، بل أيضًا من الناحية الاقتصادية والأخلاقية، فقد ركّز الإمام علي عليه السلام في دعوته على العدالة الاجتماعية كركيزة أساسية لهيكلة الدولة، وهو أمر موثق بإصدارات بحثية متخصصة تُبرز كيف وضع الإمام عليه السلام أساسًا لتوزيع الثروة والتكافل الاجتماعي، ويقدم لنا الإمام عليه السلام في هذا الباب أمثلة عملية كثيرة تتجاوز الوعظ إلى التطبيق المؤسسي ومن أبرز تلك الأمثلة سياسته الصارمة في توزيع المال العام؛ إذ كان يقسّم بيت المال بالسويّة من دون تمييز طبقي أو قبلي، وهو ما يرويه البعض عند ذكر أن الإمام علياً عليه السلام كان لا يُبقي في بيت المال شيئًا، ويقول: ((لا يكن عندي فوق يومي))[12]، وهو مبدأ يمثل مساواة اقتصادية تمنع تراكم الثروة بيد فئة على حساب أخرى، وتؤسس لحماية الفقراء من الحرمان، كما يظهر التكافل في رعايته المباشرة للمساكين؛ إذ تذكر المصادر أن الإمام عليه السلام كان يحمل

الطعام ليلاً إلى بيوت الفقراء من دون أن يُعرَف، كما روي عنه : ((كان يتعاهد الأرامل واليتامى ليلاً لا يُعرَف))[١٣].

ومن أمثلة ذلك أيضاً تشديده على ولاته بإقامة العدل الاجتماعي، وهو ما جاء في عهده لمالك الأشتر، حيث جعل حقوق الضعفاء مسؤولية مباشرة على الدولة، ونبّه إلى أن الفقراء هم عماد الأمن والعدل، وأن إهمالهم سبب للاضطراب الاجتماعي[١٤]، كما اعتمد عليه السلام على التكافل المؤسسي عبر الموارد الشرعية كالزكاة والصدقات، إذ يذكر الجاحظ أنه كان يرى في الزكاة سلاحًا لحماية كرامة الفقير، لا لمنحه إعانة مؤقتة فحسب، بل لدمجه في البنية الاقتصادية للمجتمع، وتمثّل هذه الأمثلة المتعددة منهجًا متكاملًا يقوم على إزالة أسباب التفاوت، وتعزيز العدالة، ودعم الفقراء دعمًا واقعيًا، ما يجعل التكافل الاجتماعي في فكر الإمام علي عليه السلام عنصرًا بنائيًا في حفظ الأمن المجتمعي واستدامته.

أما التوازن في منهجه فيتجلى من خلال تفكيره السياسي المتزن بين القوة والرحمة: فالإمام علي عليه السلام لم يهمل الحاجة إلى السلطة، لكنه ربط ممارستها بقيم إنسانية مثل العفو واللطف، ورفض الظلم حتى من خصومه، وهذا ما يجعل سياسته الأمنية متوازنة بين متطلبات الاستقرار وضرورة مراعاة حقوق الأفراد.

وبهذا نستنتج أن مفهوم أمير المؤمنين عليه السلام للأمن ليس مجرد حماية مادية، بل تحقيق عدالة اجتماعية وأخلاقية، وتقوية الروابط بين أفراد المجتمع، بما يضمن القدرة على مواجهة أي نزاع أو تهديد داخلي قبل أن يتفاقم، ويولي الإمام عليه السلام الأمن والاستقرار أهمية كبيرة كنتاج للعدل والتقوى إذ يورد أن ((المدينة لا تزدهر إلا بالعدل، ولا تستقيم إلا بالتقوى))[١٥]، موضحًا العلاقة الوطيدة بين القيم الأخلاقية والأمن المجتمعي، وأن أي تراجع في العدالة أو التقوى يؤثر سلباً في استقرار المجتمع، ويزيد من مخاطر النزاعات.

---

١. صبحي الصالح، نهج البلاغة : ٤٥.
٢. محمد جواد مغنية، الإمام علي عليه السلام نموذج الإنسان الكامل: ١١٢.
٣. عبد الزهراء الخطيب، مصادر نهج البلاغة وأسانيده : ١/ ٦٧.
٤. الصالح، نهج البلاغة: الخطبة ٥/ ٢٨.
٥. المصدر نفسه: ٥٣: ٣١٢.
٦. نهج البلاغة: الخطبة الأولى.
٧. نهج البلاغة: الخطبة الثالثة.
٨. الصالح، نهج البلاغة: الخطبة ٢١٤.
٩. ظ: الخرسان، محمد صادق السيد محمد رضا، أسس العدالة والاعتدال عند أمير المؤمنين عليه السلام ١٥-١٩.
١٠. الصالح، نهج البلاغة، الخطبة ٢٥: ١٤٠.
١١. مغنية، الإمام علي عليه السلام نموذج الإنسان الكامل: ١١٥-١١٨.
١٢. ابن جرير الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ٤/ ٥٦٣.
١٣. محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ٢/ ١٠٣.
١٤. الشريف الرضي، نهج البلاغة: ٤٢٧.
١٥. الصالح، نهج البلاغة: ١٧٥.

مناهج الحياة (صفات الله)

من كلام لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في نهج البلاغة

يعد نهج البلاغة من المصادر المهمة التي تمثّل منهجًا للحياة، فقد تناول فيه أمير المؤمنين عليه السلام العديد من الموضوعات المهمة، وصاغها بأسلوب بلاغي متفرد، ومن بينها ما ذكره عليه السلام من صفات الله عز وجل.

* قَالَ عليه السلام: ((الْحَمْدُ لله الْأَوَّلِ قَبْلَ كُلِّ أَوَّلٍ والْآخِرِ بَعْدَ كُلِّ آخِرٍ وبِأَوَّلِيَّتِهِ وَجَبَ أَنْ لَا أَوَّلَ لَهُ وبِآخِرِيَّتِهِ وَجَبَ أَنْ لَا آخِرَ لَهُ)).

* قَالَ عليه السلام: ((الْحَمْدُ لله الَّذِي لَا يَفِرُّهُ الْمَنْعُ والْجُمُودُ ولَا يُكْدِيهِ الْإِعْطَاءُ والْجُودُ إِذْ كُلُّ مُعْطٍ مُنْتَقِصٌ سِوَاهُ وكُلُّ مَانِعٍ مَذْمُومٌ مَا خَلَاهُ)).

* قَالَ عليه السلام: ((هُوَ الْمَنَّانُ بِفَوَائِدِ النِّعَمِ وعَوَائِدِ الْمَزِيدِ والْقِسَمِ عِيَالُهُ الْخَلَائِقُ ضَمِنَ أَرْزَاقَهُمْ وقَدَّرَ أَقْوَاتَهُمْ ونَهَجَ سَبِيلَ الرَّاغِبِينَ إِلَيْهِ والطَّالِبِينَ مَا لَدَيْهِ ولَيْسَ بِمَا سُئِلَ بِأَجْوَدَ مِنْهُ بِمَا لَمْ يُسْأَلْ)).

* قَالَ عليه السلام: ((الْأَوَّلُ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لَهُ قَبْلٌ فَيَكُونَ شَيْءٌ قَبْلَهُ والْآخِرُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ بَعْدٌ فَيَكُونَ شَيْءٌ بَعْدَهُ والرَّادِعُ أَنَاسِيَّ الْأَبْصَارِ عَنْ أَنْ تَنَالَهُ أَوْ تُدْرِكَهُ)).

* قَالَ عليه السلام: ((مَا اخْتَلَفَ عَلَيْهِ دَهْرٌ فَيَخْتَلِفَ مِنْهُ الْحَالُ ولَا كَانَ فِي مَكَانٍ فَيَجُوزَ عَلَيْهِ الِانْتِقَالُ)).

* قَالَ عليه السلام: ((وَلَوْ وَهَبَ مَا تَنَفَّسَتْ عَنْهُ مَعَادِنُ الْجِبَالِ وضَحِكَتْ عَنْهُ أَصْدَافُ الْبِحَارِ مِنْ فِلِزِّ اللُّجَيْنِ والْعِقْيَانِ ونُثَارَةِ الدُّرِّ وحَصِيدِ الْمَرْجَانِ مَا أَثَّرَ ذَلِكَ فِي جُودِهِ ولَا أَنْفَدَ سَعَةَ مَا عِنْدَهُ ولَكَانَ عِنْدَهُ مِنْ ذَخَائِرِ الْأَنْعَامِ مَا لَا تُنْفِدُهُ مَطَالِبُ الْأَنَامِ لِأَنَّهُ الْجَوَادُ الَّذِي لَا يَغِيضُهُ سُؤَالُ السَّائِلِينَ ولَا يُبْخِلُهُ إِلْحَاحُ الْمُلِحِّينَ)).

* قَالَ عليه السلام: ((هُوَ الْقَادِرُ الَّذِي إِذَا ارْتَمَتِ الْأَوْهَامُ لِتُدْرِكَ مُنْقَطَعَ قُدْرَتِهِ وحَاوَلَ الْفِكْرُ الْمُبَرَّأُ مِنْ خَطَرَاتِ الْوَسَاوِسِ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ فِي عَمِيقَاتِ غُيُوبِ مَلَكُوتِهِ وتَوَلَّهَتِ الْقُلُوبُ إِلَيْهِ لِتَجْرِيَ فِي كَيْفِيَّةِ صِفَاتِهِ وغَمَضَتْ مَدَاخِلُ الْعُقُولِ فِي حَيْثُ لَا تَبْلُغُهُ الصِّفَاتُ لِتَنَاوُلِ عِلْمِ ذَاتِهِ رَدَعَهَا وهِيَ تَجُوبُ مَهَاوِيَ سُدَفِ الْغُيُوبِ مُتَخَلِّصَةً إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ فَرَجَعَتْ إِذْ جُبِهَتْ مُعْتَرِفَةً بِأَنَّهُ لَا يُنَالُ بِجَوْرِ الِاعْتِسَافِ كُنْهُ مَعْرِفَتِهِ ولَا تَخْطُرُ بِبَالِ أُولِي الرَّوِيَّاتِ خَاطِرَةٌ مِنْ تَقْدِيرِ جَلَالِ عِزَّتِهِ)).

قَالَ عليه السلام: ((ظَهَرَتِ الْبَدَائِعُ الَّتِي أَحْدَثَتْهَا آثَارُ صَنْعَتِهِ وأَعْلَامُ حِكْمَتِهِ فَصَارَ كُلُّ مَا خَلَقَ حُجَّةً لَهُ ودَلِيلًا عَلَيْهِ وإِنْ كَانَ خَلْقاً صَامِتاً فَحُجَّتُهُ بِالتَّدْبِيرِ نَاطِقَةٌ ودَلَالَتُهُ عَلَى الْمُبْدِعِ قَائِمَةٌ)).



الصِّراطُ المُستقيم

- أثر الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في بناء المجتمع

أ.م. د سحر ناجي فاضل المشهدي
الكلية التربوية المفتوحة / مركز النجف الدراسي

- علي بن أبي طالب عليه السلام أَعلمُ الأُمَّةِ بالسُّنَّةِ والقَضَاء بعد النَّبِيّ صلى الله عليه وآله

د. علي نيكوكار
جامعة المصطفى العالمية/ الجمهورية الإسلامية الإيرانية

أثر الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في بناء المجتمع

أ.م. د سحر ناجي فاضل المشهدي
الكلية التربوية المفتوحة / مركز النجف الدراسي



قدّم الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام تصورًا مبكرًا لبنية المجتمع ووظائف طبقاته، وقد سبق بذلك كل ما قدمه مفكرو الغرب بقرون عدة، فقد أكّد عليه السلام أنّ تماسك المجتمع يقوم على تكامل الأدوار بين فئاته كافة، لا على إلغائها، وأنّ العدالة هي الضامن لاستقامة هذا البناء.

ويتجلّى ذلك بوضوح في عهده عليه السلام لعامله على مصر مالك الأشتر، إذ يقول عليه السلام موضحًا طبيعة البناء الاجتماعي الهرمي ووظائفه: ((اعْلَمْ أَنَّ الرَّعِيَّةَ طَبَقَاتٌ لَا يَصْلُحُ بَعْضُهَا إِلَّا بِبَعْض..))[1]، ففي هذا النصّ يكشف أمير المؤمنين عليه السلام رؤية متقدمة يعتبر فيها المجتمع كيانًا هرميًّا متكاملاً، تقوم قوته على التعاون بين طبقاته، وهذه الرؤية سبقت كثيرًا من النظريات الاجتماعية الحديثة.

البناء الهرمي للمجتمعات:

يعتقد علماء الغرب بأن لهم الأفضلية في وضع البناء الهرمي للمجتمعات، فقد وضع عالم النفس الأميركي أبراهام ماسلو Abraham Maslo عام ١٩٠٨ هرمه الموسوم بـ(هرم ماسلو أو موسلو)، ومن هذا الهرم نال شهرة واسعة، وتعد نظريته في تحقيق الذات للفرد فوضع هرم لكل إنسان واحتياجات يلبيها؛ فوضع نظرية في تصنيف حاجاته ابتداءً من حاجاته الأساسية وانتهاءً بالتكاملية، وهي النظرية التي نسبت إليه باسمه؛ فالمدارس الفكرية في عصره ركزت على السلوك البشري، وحاول أن يعرف ما يجعل الإنسان سعيداً، وتوصل في نهاية تجربته إنّ الحاجة الضرورية أو الهدف الأسمى لتحقيق الذات يسبقه تلبية لحاجات أخرى.

وعلى سبيل المثال لا الحصر حاجة الفرد إلى الماء تسبقها حاجته للتواصل الاجتماعي (الأسبقيّة)، واقترح أوسلو خمسة أنواع رئيسة من حاجات الإنسان، وهذا يختلف عن آلاف الحاجات التي اقترحها الباحثون الآخرون كما أنها أقل من الحاجات التي عرّفها موراي في نظريّته.

فقد اختصر ماسلو الحاجات إلى مجموعةٍ صغيرة وهذه الحاجات الخمس وهي:

(حاجات البقاء – الحاجات الفيزيولوجية): وهي الحاجات الإنسانيّة الأساسيّة، وتتضمّن الحاجة للطعام والشراب والهواء والمأوى والنوم.

(حاجات الأمان): هذه الحاجات الّتي تحمي حرّيّة الفرد من الخطر، وتعني مواجهة المخاطر الوجوديّة؛ مثل: الظروف البيئيّة الشديدة(الرياح والبرد والمطر والشمس) والخوف والاعتداء من الآخرين.

(الحاجات الاجتماعيّة): تمثل هذه الحاجات رغبة الإنسان بأنّ يتلقّى العطف والمحبّة من الآخرين.

(الحاجة للتقدير): وتعني الرغبة في الإنجاز والقوّة والكفاءة والثقة والاستقلاليّة.

(الحاجة لتحقيق الذات): وهذه الحاجة لا يمكن إشباعها أبدًا بشكل كامل، فتحقيق الذات والرغبة في إشباعها، وبذلك فإن الفكر الغربي جعل المستوى الفردي هو الأهم، وماسلو (مازلو) حاول أن يتبع هرمه ويكمله وفق تصوره الخاص؛ فربط بين علم النفس والسياسة، فجعل الديمقراطية جزءًا أساسيًا من التمتع بالسلامة النفسية والعقلية للفرد وحاول أيضاً تبسيط الحاجات.

ووفقاً لرأيه فإنَّ كل واحد من مائة شخص قادر على تحقيق ذاته، فالمجتمع برأيه يكافئ الدافع ويبني ذلك على احترام الذات[٢].

أمّا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقد قسّم طبقات المجتمع الإسلامي قائلاً:((فَمِنْهَا جُنُودُ اللهِ، وَمِنْهَا كُتَّابُ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ، وَمِنْهَا قُضَاةُ الْعَدْلِ، وَمِنْهَا عُمَّالُ الْإِنْصَافِ وَالرِّفْقِ، وَمِنْهَا أَهْلُ الْجِزْيَةِ وَالْخَرَاجِ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ وَمُسْلِمَةِ النَّاسِ، وَمِنْهَا التُّجَّارُ وَأَهْلُ الصِّنَاعَاتِ، وَمِنْهَا الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ ذَوِي الْحَاجَةِ وَالْمَسْكَنَةِ، وَكُلٌّ قَدْ سَمَّى اللهُ لَهُ سَهْمَهُ))[٣].

ثمّ يبدأ بتفصيل هذه الطبقات من المجتمع، فيقول عليه السلام: ((فَالْجُنُودُ، بِإِذْنِ اللهِ، حُصُونُ الرَّعِيَّةِ، وَزَيْنُ الْوُلَاةِ، وَعِزُّ الدِّينِ، وَسُبُلُ الْأَمْنِ، وَلَيْسَ تَقُومُ الرَّعِيَّةُ إِلَّا بِهِمْ))[٤].

يبدأ عليه السلام بأعظمهم أثراً، وهم حماة الوطن والمدافعون عنه ضد الاعتداءات الخارجية،

بدأ بـ(الجنود): ((فالْجُنُودُ بِإِذْنِ اللهِ حُصُونُ الرَّعِيَّةِ وَزَيْنُ الْوُلَاةِ وَعِزُّ الدِّينِ وَسُبُلُ الْأَمْنِ وَلَيْسَ تَقُومُ الرَّعِيَّةُ إِلَّا بِهِمْ)).

(أهل الخراج): ((ثُمَّ لَا قِوَامَ لِلْجُنُودِ إِلَّا بِمَا يُخْرِجُ اللهُ لَهُمْ مِنَ الْخَرَاجِ)).

(القضاة والعمال والكتّاب): ((ثُمَّ لَا قِوَامَ لِهَذَيْنِ الصِّنْفَيْنِ إِلَّا بِالصِّنْفِ الثَّالِثِ مِنَ الْقُضَاةِ وَالْعُمَّالِ وَالْكُتَّابِ)).

(التجار وذوو الصناعات): ((وَلَا قِوَامَ لَهُمْ جَمِيعاً إِلَّا بِالتُّجَّارِ وَذَوِي الصِّنَاعَاتِ)).

ثم (الطبقة السفلى): ((ثُمَّ الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ أَهْلِ الْحَاجَةِ وَالْمَسْكَنَةِ)).

فقد قسّم الإمام عليه السلام بناء المجتمع – بحسب علم النفس الإداري– على وفق بناء هرمي تنظيمي يحدد فيه الطبقات الرئيسة للمجتمع، كلٌّ بحسب دوره ومنصبه ومستواه ووظيفته.

ووفقاً لما تقدم يتبين لنا أنّ الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وضع ترتيباً لطبقات المجتمع، وهذا يعني أنّ كل فرد من هذا المجتمع له موضع ومسؤولية وحقوق، حتى الفقير والمسكين والمريض ومن أسماه (الزّمنى).

بناء المجتمع في ضوء عهد الإمام علي عليه السلام إلى مالك الأشتر:

بالمقارنة بين البناءين يتضح أن أمير المؤمنين عليه السلام وضع في قمة البناء الهرمي (الجنود)، فأدرك بأنّ حاجة المجتمع الأساسية حماية البلاد من الاعتداء الخارجي، فالحاجة الى (أمن البلاد) هو أُولى متطلبات بناء المجتمع؛ في حين وضعه ماسلو في الطبقة الثانية؛ لتقديمه الحاجات البيولوجية الفردية من (طعام وغذاء وشراب ... وما إلى ذلك).

وقد اهتم الإمام عليه السلام بصلاح الفرد والمجتمع، ففي تشريع الأحكام وسنّ القوانين ثمة بناء لأرضية صالحة في سبيل القضاء على الطبقية؛ لتحقيق العدل بين الجميع، وقد أولى الإمام عليه السلام طبقة العمال أهمية كبيرة بالأخذ بالكفاءة والجهد؛ فالأجر مقابل عملهم؛ أما ماسلو فقد عبّر عن أنّ العامل لا يقوى على إشباع حاجاته الفيزيولوجية لذلك لم يول للعمل الجماعي أهمية ولم ينظر إلى راحته[٥].

يتضح لنا فيما سبق أن أمير المؤمنين عليه السلام كان من أوائل المفكرين الذين قدّموا تصورًا شاملًا ومهماً لبنية المجتمع الهرمية، فهو تصور قائم على العدالة الاجتماعية والتكامل بين طبقاته المختلفة، وأنّ هذه الفكرة ليست مجرد رؤى نظرية بل تطبيقيّة، فقد وضع الإمام علي عليه السلام المبادئ الأساسية لإدارة المجتمعات ورفاهيتها، مؤكدًا أن النظام الاجتماعي لا يكون صالحًا إلا عندما تتكامل أدوار الطبقات في إطار من التعاون والتوازن فيما بينها لتكامل بناء المجتمع.

---

١. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، رسالة (٥٣)، ٧١/ ٣٧.

٢. ظ: شريفة جنان (اطروحة دكتوراه)، عقود العمل ودورها في إشباع حاجات خريجي الجامعة حسب هرم ماسلو:٦.

٣. نهج البلاغة: ٣٢٤ – ٣٢٥ .

٤. المصدر نفسه.

٥. ظ: نهج البلاغة: ٢٢٤.



علي بن أبي طالب عليه السلام أَعلمُ الأُمَّةِ بالسُّنَّةِ والقَضاء بعد النَّبِيّ صلى الله عليه وآله

د. علي نيكوكار
جامعة المصطفى العالمية/
الجمهورية الإسلامية الايرانية

يمثل التراث النبوي مصدراً ثرياً لدراسة العقيدة والشريعة والتاريخ الإسلامي، إذ تُعدّ الأحاديث الشريفة إحدى الركائز التي تكشف عن جوهر الرسالة المحمَّدية ومقاصدها، وأنّ دراستها تمثل مدخلاً أساسياً لفهم معالم الرسالة الإسلامية وأبعادها التربوية والعقائدية والسياسية، وقد وردت في بيان فضل الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام أحاديث كثيرة ومتعددة.

من بين هذه النصوص المضيئة يبرز الحديث النبوي الشريف المنقول عن الصحابي سلمان المحمديّ (رضوان الله تعالى عليه) عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أنه قال: ((أعلمُ أمتي بالسُنَّةِ والقضاءِ بَعدي عليُّ بنُ أبي طالب))[1]، وهذا الحديث يكشف عن مكانة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام العلمية في الشريعة والقضاء، ويضعه في موقع المرجعية للأمة بعد رحيل النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، ويبيّن أثره في صيانة الدين، فالعلم أساس القيادة، والقضاء ميزان العدالة، فإذا اجتمعا في شخصية واحدة فهي الأحق بالقيادة والإمامة.

يتضمن الحديث دلالات واضحة على أنَّ الإمام علياً عليه السلام ليس مجرد صحابي متميز بين الصحابة، بل هو الأعلم على الإطلاق في أبواب التشريع النبوي والقضاء العادل، ما يجعله المرجع الأول في استنباط الأحكام الشرعية وفصل النزاعات وحلّ الخلافات، وهو ما يؤكد ملازمته للحق وارتباطه الوثيق بجوهر الرسالة.

وإذا كان العلم بالسُنَّة والقضاء أساساً في بناء المجتمع الإسلامي، فإنَّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أراد بهذا النص أنْ يبين أنَّ حفظ الشريعة وصيانتها من التحريف والضياع لا يتم إلّا بالرجوع إلى علي بن أبي طالب عليه السلام، من هنا تأتي أهمية هذا الموضوع في أنه يتناول حديثاً نبوياً جامعاً بين البُعد العلمي والبُعد القضائي، وكلاهما أساس في بناء المجتمع الإسلامي العادل، كما أنَّ دراسة هذا الحديث يثبت أنَّ الإمام علياً عليه السلام هو المرجع الأول في العلم والقضاء، ويبين أثره المحوري في حفظ السُنَّة النبوية وتطبيقها بعد النبي صلى الله عليه وآله والرد على الشبهات التي تقلل من علم الإمام عليه السلام أو تحاول تهميش دوره.

يخبرنا النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في هذا الحديث أنَّ أعلم الناس بأحكام الإسلام من سنّة وتشريع، وأقدرهم على الفصل في الخصومات بالقضاء العادل بعد رحيله، هو الإمام علي عليه السلام، وهذا نصٌّ صريح في تقديمه على غيره من الصحابة، فلا يُدانيه أحد من الصحابة في هذين البابين، وفي إسناد المرجعية الشرعية إليه، ويثبت أحقيته في الخلافة والقيادة بعد النبي مباشرة.

مفردات الحديث الشريف:

ابتدأ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله حديثه مؤكداً بلفظ التفضيل (أعلم)، أي أن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام الأوسع علماً والأعمق فهماً بين الأمة في هذا الباب، والمراد به الإحاطة الأوسع بالعلم، وقطع كل احتمال بالمشاركة أو المساواة غيره معه، وأضاف صلى الله عليه وآله لفظ (أمتي) فأنها تشمل الأمة الإسلامية جمعاء على اختلاف طبقاتهم، أي: أنه أعلم من جميع أفراد الأمة بلا استثناء، وقد عطف صلى الله عليه وآله بين (السُنَّة) و(القضاء)، إذ جمع بين مصدر التشريع (السُنَّة) والمراد بها ما صدر عنه صلى الله عليه وآله من قول أو فعل أو تقرير، وهي المصدر الثاني للتشريع بعد القرآن الكريم، وآلية تطبيقها (القضاء) وهو الحكم بين الناس في الخصومات والنزاعات استناداً إلى الكتاب والسُنَّة، ليظهر كمال شخصية الإمام علي عليه السلام.

ولفظ (بعدي): فيها دلالة على الامتداد الزمني بعد وفاته صلى الله عليه وآله، لتكون المرجعية للأمة منحصرة في الإمام علي عليه السلام بعده مباشرة، ثم التخصيص بالاسم (علي بن أبي طالب)؛ إذ صرح باسمه ليرفع كُل لبس أو تأويل، ولبيان مقامه بوضوح، فهو المعيَّن من قبله صلى الله عليه وآله؛ ليكون المرجع الأول للأمة في العلم والقضاء من بعده.

دلالات نبوية واضحة:

من القراءة المتأنية التحليلية للحديث النبوي الشريف، من أجل استخلاص المفاهيم والمعاني الكامنة في الألفاظ، كشف لنا الحديث عن دلالات كثيرة ، يمكن إيجاز أهمها في الآتي :

أولاً: الأعلمية المطلقة: أثبت كلام النبي الأكرم ﷺ أنَّ الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام هو أعلم الأمة في مجالي السُنَّة النبوية والقضاء، فهو المرجع العلمي والقانوني للأمة بعده.

ثانياً: القيادة العلمية والسياسية: بما أنَّ العلم أساس القيادة، فهذا الحديث يُبرز أحقية الإمام علي عليه السلام لقيادة الأمة، ويوجه المسلمين للرجوع إليه في فهم السُنَّة وتطبيقها من بعده ﷺ، بدلاً من التشتت بين الآراء المختلفة.

ثالثاً: الوحدة الفكرية للأمة: عندما تُجمع الأمة كلمتها على مرجعية علمية واحدة، يقلّ الخلاف ويثبت الحق.

رابعاً: حفظ الدين: إذ إنَّ القضاء من أهم وظائف الحاكم، وكون الإمام علي عليه السلام أعلم الناس بالقضاء يعني أنَّ بقاء الشريعة على نقائها وتمامها متوقف على رجوعهم إليه.

خامساً: ردّ الشبهات في مقابل من يحاول أنْ يقلّل من علم الإمام عليه السلام، فإنَّ هذا النص النبوي صريح ويقطع بأنَّ المرجعية العلمية بعده ﷺ لعلي عليه السلام.

سادساً: إشارة إلى العصمة، فإنَّ العلم الكامل بالسُنَّة والقضاء لا يمكن أنْ يكون إلّا عند الذي عصمه الله من الخطأ والزلل ولا يمكن أنْ يكون أعلم الأمة قاضياً وحاكماً وهو عرضة للخطأ في الدين.

سابعاً: العدالة الاجتماعية: فالقضاء العادل أساس استقرار المجتمع، وقد جعله ﷺ من اختصاص الإمام علي عليه السلام، وأنَّ القضاء بين الناس يجب أن يكون على أساس العلم والعدل، لضمان حقوق الجميع واستقرار المجتمع.

ثامناً: الرجوع إلى الأعلم والأعدل : يُعلّمنا النبي الأكرم ﷺ ضرورة التمسك بالمرجعية العلمية في حل النزاعات والخصومات، وتجنب الانحراف والفساد مع وجود قاضٍ عالم وعادل يحمي المجتمع من الضياع والفوضى.

تاسعاً: الاقتداء بالعلماء الربانيين، الحديث يربّي الأمة على احترام العلماء العادلين والرجوع إليهم في الدين والدنيا.

عاشراً: تأكيد أحقية الإمام علي عليه السلام في الإمامة والخلافة: الحديث يثبت أنَّ الإمام علياً عليه السلام هو الأعلم والأقدر على قيادة الأمة بعد النبي ﷺ فإذا كان عليه السلام أعلم بالسُنَّة من باب أولى يجب الاقتداء به؛ لأنه يجسد السُنَّة النبوية بأعماله وأقواله وهو الحافظ عليها من الضياع، ولا يخالفها قولاً ولا عملاً.

فكلام النبي الأكرم ﷺ يُسقط حجج من ادّعوا أنَّ غيره أحق بالخلافة، لأن العلم هو ميزان الإمامة، ويُعد شاهداً قوياً على أحقيّة الإمام علي عليه السلام في الخلافة بعده، لأن الأعلمية في التشريع والقضاء تعني الأحقية التامة لقيادة الأمة.

إن الحديث الشريف يسعى إلى تقديم رؤية متكاملة، ويؤكد مكانة الإمام علي عليه السلام باعتباره الامتداد الطبيعي للرسول الأكرم ﷺ .

وهناك شواهد مؤيدة لكلام النبي الأكرم ﷺ منها:

١ ـ قوله ﷺ : ((أنا مدينة العلم وعلي بابها، ولنْ تدخل المدينة إلّا من بابها))[٢] ، وقوله ﷺ : ((أنا مدينه العلم وعلى بابها، فمن أراد المدينة فليأتها من بابها))[٣]، وهو شاهد على تفرّد الإمام علي بأعلميته

بالسُنَّة النبوية ومرجعيته العلمية بعد النبي صلى الله عليه وآله.

٢ ـ قوله صلى الله عليه وآله: ((عليّ مع الحق والحق مع علي، ولنْ يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض يوم القيامة))[٤]، وهو تأكيد أنَّ كُل حكم وقضاء يصدر عنه إنما هو حكم الحق.

وقد نقل النعمان المغربي (٣٦٣هـ) بإسناده عن أحمد بن علي، عن عائشة، أنها قالت: ((علي أعلمُ الناس بالسُنَّة))[٥].

علي عليه السلام امتداد للرسالة المحمدية:

يتضح من هذا الحديث الشريف أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله نصّ صراحة على مقام الإمام علي عليه السلام العلمي والشرعي، إذ أثبت أنّ له أعلمية مطلقة في السُنَّة النبوية وفي القضاء العادل وأنه الامتداد الشرعي للرسالة المحمدية، وأنه الأحق بالقيادة بعده، إذ لا يمكن أنْ يترك أمر الأمة بعده إلّا لأعلمها وأقدرها على إقامة العدل، كما أنَّ الأعلمية المطلقة في السُنَّة والقضاء لا تنفك عن العصمة، مما يرسّخ موقعه كإمام مفترض الطاعة.

فقد جمع عليه السلام بين الأعلمية في السُنَّة التي تحفظ معالم الدين، والأعلمية في القضاء الذي يضمن العدالة الاجتماعية والسياسية، وهذا الجمع بين العلم والتطبيق لا يكون إلّا لشخصية ربانية معصومة، مؤهلة لقيادة الأمة بعد النبي صلى الله عليه وآله.

وهذا الحديث ليس مجرد بيان فضيلة شخصية لعلي بن أبي طالب عليه السلام، بل يحمل دلالة واضحة وشهادة نبوية على أحقيته في القيادة الدينية والمرجعية السياسية بعده صلى الله عليه وآله، وعلى وجوب رجوع الأمة إليه في أمور دينها ودنياها وإثبات أحقيته بالخلافة والإمامة بعده.

جمع أمير المؤمنين عليه السلام بين الأعلمية في السُنَّة التي تحفظ معالم الدين، والأعلمية في القضاء الذي يضمن العدالة الاجتماعية والسياسية، وهذا الجمع بين العلم والتطبيق لا يكون إلّا لشخصية ربانية معصومة، لها الأحقية في قيادة الأمة.

فالإمام علي عليه السلام لم يكن مجرد رجل من الصحابة، بل كان الميزان الذي تُعرف به الشريعة، والباب الذي يُؤخذ منه علم النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، ويمكن القول: إنَّ هذا النص النبوي يمثل حجر زاوية في فهم مكانة الإمام علي عليه السلام، ويوجب على الأمة أنْ تستضيء بعلمه وعدله، وأنْ تعتصم به بوصفه المرجع بعد النبي صلى الله عليه وآله، ليبقى الضمانة الحقيقية لحفظ الدين واستقامة المجتمع.

---

١. الموفق الخوارزمي، المناقب: ٦٨؛ ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ١/ ٣١٣.

٢. الصدوق، الخصال: ٥٧٤.

٣. الصدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١/ ٢١١.

٤. ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب: ٦٤١.

٥. القاضي المغربي، شرح الأخبار: ٢/ ٣١٠.

تفضيل علي بن أبي طالب عليه السلام

لقد خصَّ اللهُ تعالى أميرَ المؤمنين عليًّا عليه السلام بفضائل وخصائص عظيمة، لم يبلغها أحد من الخَلق، فأنزله منزلةً رفيعة، وطهّره تطهيرًا، وجعله من خاصة أوليائه، وجعل فضلُه من فضلِ رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد جعله الله نفسَ النبي في مقام المباهلة، فلا يُقارن أمير المؤمنين بأحد من الناس أبداً، إذ هو باب علم النبي، ووصيُّه، وحامل لوائه، وإمام المتقين بعده.

روي عن جابر الجعفي، عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام، عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: ((قال رسول الله صلى الله عليه وآله إن جبرئيل عليه السلام نزل علي وقال: إن الله يأمرك أن تقوم بتفضيل علي بن أبي طالب عليه السلام خطيباً على أصحابك، ليبلغوا من بعدهم ذلك عنك، ويأمر جميع الملائكة أن تسمع ما تذكره، والله يوحي إليك يا محمد أن من خالفك في أمره فله النار، ومن أطاعك فله الجنة، فأمر النبي صلى الله عليه وآله مناديا فنادى: الصلاة جامعة، فاجتمع الناس، وخرج حتى علا المنبر، فكان أول ما تكلم به: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم ، ثم قال: أيها الناس! أنا البشير، وأنا النذير، وأنا النبي الأمي، إني مبلغكم عن الله جل اسمه في أمر رجل لحمه من لحمي، ودمه من دمي، وهو عيبة العلم، وهو الذي انتجبه الله من هذه الأمة، واصطفاه، وهداه، وتولاه، وخلقني وإياه، وفضلني بالرسالة، وفضله بالتبليغ عني، وجعلني مدينة العلم، وجعله الباب، وجعلني خازن العلم والمقتبس منه الأحكام، وخصه بالوصية، وأبان أمره، وخوف من عداوته، وأزلف من والاه، وغفر لشيعته، وأمر الناس جميعا بطاعته، وأنه عز وجل يقول: من عاداه عاداني، ومن والاه والاني، ومن ناصبه ناصبني، ومن خالفه خالفني، ومن عصاه عصاني، ومن آذاه آذاني، ومن أبغضه أبغضني، ومن أحبه أحبني، ومن أراده أرادني، ومن كاده كادني، ومن نصره نصرني.

يا أيها الناس اسمعوا لما أمركم به، وأطيعوه، فإني أخوفكم عقاب الله، (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً، وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا، ويحذركم الله نفسه).

ثم أخذ بيد أمير المؤمنين عليه السلام فقال: معاشر الناس! هذا مولى المؤمنين، وحجة الله على الخلق أجمعين، والمجاهد للكافرين، اللهم إني قد بلغت، وهم عبادك، وأنت القادر على صلاحهم، فأصلحهم برحمتك يا أرحم الراحمين. أستغفر الله تعالى لي ولكم.

ثم نزل عن المنبر: فأتاه جبرئيل عليه السلام فقال: يا محمد إن الله عز وجل يقرئك السلام، ويقول لك: جزاك الله عن تبليغك خيراً، فقد بلّغت رسالات ربك، ونصحت لأمتك، وأرضيت المؤمنين، وأرغمت الكافرين، يا محمد إن ابن عمك مبتلى ومبتلى به، يا محمد! قل في كل أوقاتك: الحمد لله رب العالمين، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون))[1].

١- الشيخ المفيد، الأمالي: ٣٤٥-٣٤٧.



لسان الأمـة

- استدعاء عنوان (الإمام الحسين) عليه السلام مرجعاً ثقافياً
  المنقوشات الجدارية في مقام السيدة زينب في مصر أنموذجا

د. زيد العكايشي
جامعة جابر من حيان

- لهجة أهل الحجاز في نهج البلاغة - دراسة نحوية

أ.م.د. ضرغام علي محسن
جامعة الكوفة / كلية التربية الأساسية



استدعاء عنوان (الإمام الحسين) عليه السلام مرجعاً ثقافياً

المنقوشات الجدارية في مقام السيدة زينب في مصر انموذجا

د. زيد العكايشي
جامعة جابر من حيان

سارت أغلب الدراسات الأكاديمية وغيرها في تعقّب تاريخ المساجد المباركة، والأضرحة المقدّسة في العالم الإسلامي، وأغلبها دراسات موفقة حفظت لنا تأريخ التراث العربي والإسلامي، عبر توثيق الحالات العمرانية من أمّات الكتب والمصادر المتناثرة[١].

ولم تقتصر مهام هؤلاء العلماء على توثيق حركة الإعمار والبناء السارية مع تتابع الأيام والعصور، وتبيان ما يطرأ عليها من تغيرات فحسب، بل مالت جهودهم إلى وصف العمران وصفاً دقيقًا، إذ غلب على كلماتهم النمط الوصفي لتخطيطها، وذكر ما زاد عليها في كل عمارة جديدة، بحيث تمظهرت بنقل أوصاف الدهاليز والممرات، وكأنّهم يعطون الخرائط كما في الهندسة المعمارية الحديثة، ولم تخلُ مدوناتهم وصحائفهم من أدب الجدران: الذي يضم الأدب والصور المرسومة، والمنقوشات والزخارف الفنية، وعلى الرغم من تتابعها وكثرة ورودها، إلا أن الاختلاف وقع في تسميته، فقديماً أطلقوا عليه الكتابة على الحائط أو الجدران، نحو قول الجاحظ والأصفهاني، أما حديثاً فتوافقوا على مصطلحات عدّة منها: أدب الجدران، فن الجدران، والمدونات الشعرية والأدبية[٢].

المرجعيات الثقافية:

أما المرجعيات الثقافية فالمراد منها ما نظرت إليه الدراسات الأدبية والنقدية، بوصفها (من المفاهيم التي تعمل في إطار تحليل النص الأدبي، وتفكيك مكوناته الأساسية، إذ تمثل المنطقة التي ينهل منها الأديب موضوعاته، ويستقي قضاياه، وأفكاره، وإرثه الحضاري)[٣]، ويؤكد المضمون الناقد والمعجمي سعيد علوش بقوله:(العلاقة بين العلامة وما تشير إليه)[٤] فلا نبتعد عن الصواب بالقول: إن (المرجع أو المضمون المعرفي بمفهومه الاصطلاحي، يمثل الخلفية الثقافية للنص أو التواصل اللفظي، إذ تسهم في تدوين مجموعة المفاهيم والعلاقات الاجتماعية والسلوكية،)[٥].

أما المراد من الثقافة فنحاول جمعه بالقول:(مجموعة من الصفات الخلقية والقيم

الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته، وتصبح لا شعورياً العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة، وفي الوسط الذي ولد فيه أي: المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته)[٦] أو بمعنى آخر (هي مجموعة الأفكار والمعتقدات والمثل، والرغبات التي تطبع الفرد أو الجماعة بسمات مميزة، واتجاه نفسي خاص)[٧].

أخت الحسين عليه السلام:

وبعد عرضنا للمرجعيات الثقافية ومعناها، وأدب الجدران ومراده، وصلنا الى تبيان حقائقها التطبيقية بوصفها بيئة عملية نستوحي ما تقدم، وقد وجهنا دراستنا شطر مرقد السيدة زينب في جمهورية مصر العربية، التي مُلئ مقامها بالمدونات الشعرية، وسنعتمد ما ذكره علي باشا المبارك في كتابه الخطط التوفيقية صحيفة رقم (٨)[٨].

وتتجلى المرجعية الثقافية في الأبيات الشعرية المعلقة على جدران مرقد السيدة زينب بنت الإمام علي عليه السلام، مع التناغم العالي بحب آل بيت المصطفى، الموظفة إلى كسب قلوب الزائرين، وتعريفهم بانحصار الفرج الإلهي بآل البيت عليهم السلام، فمن طلب النجاة من هول الدنيا ومصاعبها، فما عليه إلا التوجه نحو السيدة زينب، نحو الأبيات المعلقة على إحدى أبواب القبة النحاسية :

إن رمت في شدة آل النبي تجد

بنت الرضا زينبا أخت الحسين حمى

نلحظ أنّ المقام هو مقام السيدة زينب، والمدح موجّه لها بالاسم، إلا أنه لم يستطع مفارقة اسم الامام الحسين عليه السلام الذي عاش مرجعاً روحياً لكل أهل مصر، وكأنّ هناك نسقًا ثقافيًا مخفيًا يلحّ في خُلد الشاعر، يتمحور حول فكرة جوهرية مفادها: أي اسم لا يصيبه الارتفاع والسمو إلا إذا مُزج مع ذكر الإمام الحسين عليه السلام، وتحقق ما قلناه عن طريق الجمع بين ذكر السيدة زينب عليها السلام وجدها بوصفهما مرجعاً ثقافياً، نحو عبارات الابتهال المنقوشة على لوح من الرخام عند باب الطرقة بين المشهد والجامع:

يا زائريها قفوا بالباب وابتهلوا

بنت الرسول هذا القطر مصباح

فالنبي صلى الله عليه وآله والحسين عليه السلام أصبحا مرجعين ثقافيين لكل مدح منقوش في المقام المبارك، بحيث لا يُسرد ذكر السيدة زينب عليها السلام إلا مع جدها أو أخيها، وقد نلحظ مرجعية الإمام الحسين عليه السلام الثقافية بسردية التوسل بالأولياء والصالحين، الذي يدعم التوجه العام لأهل مصر، ويظهر مدى تمسك المصريين بمبدأ التوسل بالسيدة، حتى وضعت الأبيات كعلامة بارزة في المقام نحو الأبيات المعلقة على جدار المدخل:

قف توسّل بباب بنت علي

بخضـــــوع وسل إله السماء

تحظ بالعزِّ والقبول وأرِّخ

باب أخت الحسين باب العلاء

فقوله (أخت الحسين) في الشعر التاريخي، الذي يعد أهم بيت في النص، من أجل أحداث صدمة للمتلقي نحو اسمه الشريف، فقد رسّخ اسمه من دون سواه، وهذا ما نشير إليه في تحلله عليه السلام أعماق الشخصية المصرية، حتى تحول إلى جزء لا يتجزأ من اللاوعي المعرفي عند القائل والسامع.

سفينة النجاة:

ومن الثقافات السائدة عند المصريين أن الامام الحسين عليه السلام سفينة النجاة، وسبيل الله وبابه، مع لزوم ثقافة التوسل به، فظهرت لنا مرجعيته عليه السلام الثقافية، من خلال توجه العقل المصري انه أحد الأقطاب الثلاثة (النبي صلى الله عليه وآله والإمام علي عليه السلام، والإمام الحسين عليه السلام)، وهي عملية بناء عقلي معرفي، يترسخ لكي يغدو مكوناً ثقافياً لكل المصريين، يحرصون على إيجاده في الأبناء، نحو قول الشاعر الذي رسم لوحة تعليمية لكل زائر، يتم توجيهه نحو التعريف بالأسس التي جعلت السيدة زينب عليها السلام ذات مقام سام، ولعلّ أدب الجدران والأبيات المنقوشةً عليهًا اضحى مرجعية عقائدية ايضا؛ لما نلحظه من التركيز على الامام الحسين عليه السلام وربط رفعة السيدة زينب به، نحو الابيات المنقوشة في لوح من الرخام أعلى باب خشبي مدعّم بالفضة كُتب عليه:

وزينب وردة الزهراء بنت علي

أخت الحسين لها بين الورى شان

قالت لنا بلسان الشُكر واصفة

نسل الرسول الذي حيّاه قرآن

نجد الشاعر يذكر الأب والأم (الامام علي والزهراء عليهما السلام) في صدر البيت، إلا أنه يوظف عجز البيت الشعري للإمام الحسين عليه السلام حتى يعطي رسالة على أهميته، وهنا تتحقق المرجعية الثقافية التي أراد أن يرسخها، بحيث أن نسل الرسول صلى الله عليه وآله يأخذ نوره من الحسين عليه السلام، وجرى المعنى من خلال الحكاية على لسان السيدة زينب عليها السلام حتى يقطع جازماً بالمعنى الذي أورده من مرجعية الولاء والحب ذات المصدر الحسيني.

---

١. تحدثت المصادر القديمة عن تاريخ بناء المساجد والاضرحة، ظ/ مساجد مصر وأولياؤها الصالحون/ سعاد ماهر محمد/ جمهورية مصر العربية / وزارة الأوقاف للشئون الاسلامية/ ١٩٧٩م.

٢. كريم جهاد الحساني، مدونات العتبة الحسينية الازمنة والامكنة.

٣. د. علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر: ١٨.

٤. د. سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة: ٩٧.

٥. د. خالد عبد الله كاظم حسين المرجعيات الثقافية في شعر عبد الله بن رواحة، مجلة كلية التربية: ٤٩/ ٢.

٦. مالك بن نبي، مشكلة الثقافة: ٧٤.

٧. أحمد محمد الحوفي، وحدة الثقافة والتاريخ في الشعر الحديث: ٥.

٨. من الخطط الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة: ٥.



لهجة أهل الحجاز في نهج البلاغة - دراسة نحوية

أ.م.د. ضرغام علي محسن
جامعة الكوفة / كلية التربية الأساسية

لقد حظي كتاب (نهج البلاغة) الذي جمع فيه الشريف الرضي (ت٤٠٦هـ) من خطب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ورسائله وقصار حكمه بالعناية الواسعة من علماء المسلمين كافة، وكثرت فيه الشروح والدراسات من زمن جمعه إلى يومنا هذا، لما لهذا الكتاب من أهمية بالغة على مختلف الصُعُد التأريخية والدينية والأدبية واللغوية وغيرها، إلّا أن هذه الدراسات على كثرتها لم تسلط الضوء عليه بدراسة مستقلة من حيث كونه يمثل لهجة أهل الحجاز، اللغة العربية الأدبية التي نزل فيها القرآن الكريم، إذ كانت تمثل لغة مجموعة من القبائل العربية في هذه المنطقة منها قبيلة قريش، التي انمازت من دون غيرها من اللهجات بمجموعة من الظواهر اللغوية على مختلف المستويات الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية، ولسعة الموضوع اقتصرت هذه المقالة على بعض التراكيب النحوية في المستوى النحوي، ولأن المستوى النحوي يمكن وصفه بدقة أكثر من غيره، لأننا ندرس نصوصاً مكتوبة وليست ملفوظة .

١-(ما) الحجازية تعمل عمل ليس :

وهي تعمل عمل ليس في لغة أهل الحجاز، يقول

سيبويه: ((باب ما أجري مجرى (ليس) في بعض المواضع بلغة أهل الحجاز ثمّ يصير إلى أصله وذلك الحرف (ما)، تقول: ما عبدُ الله أخاك وما زيدٌ منطلقا، وأمّا بنو تميم فيجرونها مجرى أمّا وهل، أي لا يعملونها في شيء وهو القياس؛ لأنه ليس بفعل، وليس (ما) كـ(ليس)، ولا يكون فيها إضمار، وأمّا أهل الحجاز فيشبّهونها بـ(ليس) إذ كان معناها كمعناها[1] ومثل ذلك قوله عزّ وجلّ:﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾ (يوسف : ٣١)، في لغة أهل الحجاز وبنو تميم يرفعونها[2]، ومن أمثلة (ما) العاملة عمل ليس في قول أمير المؤمنين عليه السلام: ((وَاللهّ ما مُعاوِيةُ بِأَدهى مِني وَلكِنَّهُ يَغدِرُ وَيَفجُرُ...))[3] فقد رفعت (ما) (معاوية) اسمًا لها، وخبرها (بأدهى) وقد جاءت الباء زائدة، ويرجح أنها عاملة لاقتران الباء في الخبر المنفي كثيراً في كلام العرب، واقترانها في خبر المبتدأ قليلا إذا كانت (ما) غير عاملة.

ومثله قوله عليه السلام: ((مَا خَيرٌ بِخيرٍ بَعدَهُ النّارُ، وَمَا شَرٌّ بِشرٍّ بَعدَهُ الجَنّةُ))[4] يقول ابن أبي الحديد: (موضع (بعده النار) رفع لأنه صفة (خير) الذي بعد (ما)، و(خير) يرفع لأنه اسم (ما) وموضع الجار والمجرور نصب لأنه خبر (ما)، والباء زائدة مثلها في قولك: ما أنت بزيد كما تزاد في خبر (ليس)، والتقدير: ما خير تتعقبه النار بخير كما تقول: ما لذّة تتلوها نغصة بلذّة)[5] ومثالها عاملة وخبرها مجرّدا من الباء لأنه جملة فعلية قوله عليه السلام: ((مَا كلُّ مَفتُونٍ يُعاتَبُ))[6]، أي ليس كل مفتون ينفع معه العتاب، فـ(ما) عاملة عمل (ليس) و(كلّ) اسمها، و(يعاتب) خبرها، وهو فعل مضارع مبني للمجهول ضارع اسم المفعول (مُعاتَب) إذ يمكن أن نقول ما كلّ مفتون مُعاتَبا.

٢-(لا) تعمل عمل ليس عند أهل الحجاز:

يقول ابن عقيل(ت٧٦٩هـ): (أمّا (لا) فمذهب الحجازيين إعمالها عمل " ليس "، ومذهب تميم إهمالها)[7]، ولا تعمل هذا العمل إلا بثلاثة شروط الأول: أن يكون الاسم والخبر نكرتين، والثاني: ألا يتقدم خبرها على اسمها، والثالث: ألا ينتقض النفي بـ(إلّا)، ومن أمثلة إعمالها في نهج البلاغة قول أمير المؤمنين عليه السلام: ((لاَ كُلُّ ذِي سَمْعٍ بِسَمِيعٍ وَ لاَ كُلُّ نَاظِرٍ بِبَصِيرٍ..))[8]، جاءت (لا)عاملةً بدليل دخول الباء على خبرها (بسميع، ببصير) وقد رفعت الاسم (كل) في كلا الموردين . ومثله قوله عليه السلام: ((الحمد للهّ المعروف من غير رؤية، و الخالق من غير رويّة، الّذي لم يزل قائما دائما، إذ لا سماء ذات أبراج، و لا حجب ذات أرتاج، و لا ليل داج، و لا بحر ساج، و لا جبل ذو فجاج، و لا فجّ ذو اعوجاج، و لا أرض ذات مهاد، و لا خلق ذو اعتماد، ذلك مبتدع الخلق و وارثه)[9] يقول الخوئي(ت١٣٧١هـ): (و لا بمعنى ليس، و سماء اسمها و خبرها محذوف منصوبا على الإعمال كما هو مذهب أهل الحجاز))[10] وهو الوجه الأقوى عنده .

٣-(لات) تعمل عمل ليس عند أهل الحجاز ويكون اسمها أو خبرها (الحين) محذوفا دائما: قال سيبويه(ت١٨٠هـ): (أمّا أهل الحجاز فيشبهونها بليس إذ كان معناها كمعناها، كما شبهوا بها لات في بعض المواضع، وذلك مع الحين خاصة، لا تكون لات إلا مع الحين، تضمر فيها مرفوعاً وتنصب الحين لأنه مفعول به)[11]، ومن أمثلتها في نهج البلاغة قول أمير المؤمنين عليه السلام: ((وَيَتَمَنَّى المُضَيِّعُ فِيهِ الرَّجْعَةَ وَلاتَ حِينَ مَناصٍ..))[12]، (ولات حين مناص) مقتبسة من قوله تعالى﴿**كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوْا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ**﴾[ص: ٣]، (لا) مشبّهة بليس و التاء زائدة، و(حين) بالنصب خبر لا، و اسمها محذوف واذا رفعت (حين) على قلّته فهو اسم لا، والخبر محذوف أي: لات حين مناص حاصلا، و لا يستعمل إلاّ محذوفة أحد الجزئين[13]، ومثله قول

أمير المؤمنين عليه السلام: ((ولات حين تقيّة، مع وضوح الحق))[١٤]، وقوله عليه السلام: ((فتقول الزّبانية لات حين أمان، لا خروج لكم من دار الهوان))[١٥] قال ابن هشام: (و عملها واجب، وله شرطان: كون معموليها اسمي زمان، وحذف أحدهما، والغالب كونه المرفوع أي الاسم نحو ولات حين مناص أي لات الحين حين مناص أو ليس الحين حين مناص فالحين الأول اسمها، و الحين الثاني خبرها)[١٦].

٤- (الاستثناء المنقطع التام غير الموجب):
إذا كان الكلام السابق غير موجب وكان منقطعاً فأهل الحجاز يوجبون النصب، وبنو تميم يجيزون النصب والإبدال[١٧]، ومن أمثلة نهج البلاغة قول أمير المؤمنين عليه السلام: ((... كَأَنَّكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تُكْفِئُوا اَلْإِسْلاَمَ عَلَى وَجْهِهِ اِنْتِهَاكاً لِحَرِيمِهِ وَنَقْضاً لِمِيثَاقِهِ اَلَّذِي وَضَعَهُ اَللهُ لَكُمْ حَرَماً فِي أَرْضِهِ وَأَمْناً بَيْنَ خَلْقِهِ وَإِنَّكُمْ إِنْ لَجَأْتُمْ إِلَى غَيْرِهِ حَارَبَكُمْ أَهْلُ اَلْكُفْرِ ثُمَّ لاَ جَبْرَائِيلَ وَلاَ مِيكَائِيلَ وَلاَ مُهَاجِرِينَ وَلاَ أَنْصَارَ يَنْصُرُونَكُمْ إِلاَّ اَلْمُقَارَعَةَ بِالسَّيْفِ حَتَّى يَحْكُمَ اَللهُ بَيْنَكُمْ ...))[١٨] ذهب الراوندي، وابن ميثم البحراني[١٩] إلى أنها استثناء منقطع.

٥ - حذف خبر لا النافية للجنس جوازاً عند أهل الحجاز:
قال سيبويه في باب النفي بـ(لا): (واعلم أن (لا) وما عملت فيه في موضع ابتداء، كما أنك إذا قلت: (هل من رجل)، فالكلام بمنزلة اسم مرفوع مبتدأ، وكذلك: (ما من رجل)، ... والدليل على أن (لا رجلَ) في موضع اسم مبتدأ، و(ما من رجل) في موضع اسم مبتدأ في لغة بني تميم قول العرب من أهل الحجاز: لا رجلَ أفضل منك)[٢٠]، هنا يذكر سيبويه أن لا واسمها في موضع مبتدأ في لغة تميم، واستدل على ذلك بلغة أهل الحجاز الذين يذكرون الخبر، على العكس من تميم الذين لا يذكرون الخبر، ومن الأمثلة على إظهار خبر لا النافية للجنس في نهج البلاغة قول أمير المؤمنين عليه السلام في حكمة له: ((لا مَالَ أَعودُ مِن العَقلِ ولا وَحدةَ أَوحشُ مِن العَجبِ...))، فـ(لا) نافية للجنس في الموضعين و(مال) و(وحدة) اسماء لها مبنية على الفتح في محل نصب، فقد نفى جنس المال و الوحدة من أن تكون أعود أو أوحش من العقل والعجب، وخبرهما (أعود) و(أوحش) مرفوعان.

١.كتاب سيبويه: ١/ ٥٧.
٢.الكتاب ١ / ٥٩ ، وينظر معاني الفراء ٢ / ٤٢، ومعاني الأخفش: ١ / ١٣٦.
٣.شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٩/ ١.
٤.المصدر نفسه: ١/ ٣٩٤ .
٥.المصدر نفسه: ١/ ٣٩٤ .
٦.المصدر نفسه: ٣/ ٥٧٦.
٧.شرح ابن عقيل: ١/ ٣١٢.
٨.شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد:٦/ ٣٨٤.
٩.المصدر نفسه: ٦/ ٣٩٢.
١٠. منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، للخوئي:١/ ٣٤١ .
١١.كتاب سيبويه: ١/ ١٥٧.
١٢.شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٦/ ١٦٧.
١٣. ينظر : منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، الخوئي: ١/ ٢٣٤.
١٤.شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد:٦/ ٣٠١.
١٥.المصدر نفسه: ٨/ ٧٦ .
١٦. مغني اللبيب: ١/ ٩٦ .
١٧.ينظر: شرح قطر الندى :٢٤٦، ونسب ابن عقيل وجوب النصب إلى جمهور العرب، ينظر: شرح ابن عقيل: ٢/ ١٨٢ .
١٨.شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٣/ ١٧٩-١٨٠ .
١٩.ينظر: شرح نهج البلاغة،للراوندي:٢/ ٢٦٦،وشرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني: ٤/ ٣٠٤.
٢٠.الكتاب: ١ / ١٤٧ .

ياصاحب العصر..

الشيخ جعفر النقدي

له قصيدة يندب بها الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف

أمـــا وعينيـــك إن القلـــب مكـــدود ... مـــذ ســـاءني رزؤكـــم مـــا سرني عيـــد
مـــا العيـــد الا بيـــوم فيـــه أنـــت ترى ... تلقـــى اليـــك مـــن الدنيـــا مقاليـــد
وتمـــلأ الارض قســـطاً بعدمـــا ملئـــت ... جـــوراً وقـــد حـــلّ في أعـــداك تنكيـــد
يا صاحـــب العصر إن العـــصر قد نقصت ... أخيـــاره وبنـــي الأشرار قـــد زيـــدوا
وصـــارم الغـــدر في أعنـــاق شـــيعتكم ... قـــد جردتـــه الأعـــادي وهـــو مغمود
الله أكـــبر يابـــن العســـكري متـــى ... تبـــدو فيفـــرح إيـــمان وتوحيـــد
فديت صـــبرك كـــم نغضي وأنـــت ترى ... شـــمل الزمـــان بـــه قـــد حـــل تبديد
وذي نواظرنـــا تجـــري مدامعهـــا ... وملؤهـــن مـــن الأرزاء تســـهيد
تـــالله مـــا انعقـــدت يومـــاً محافلنـــا ... إلا بهـــا مأتـــم للســـبط معقـــود



قُرَّة الأَعين

- **أهمية الدراسات التربوية في بناء المجتمعات**

م.م عبد الباقر قحطان الشمخي
جامعة الكوفة / كلية الآداب

- **التربية في عصر الشاشات حين يحلّ لمسُ الشاشة محلّ لمسِ الأيدي**

الباحثة محبوبة موسيوند
جامعة الزهراء/ معهد بحوث المرأة - إيران

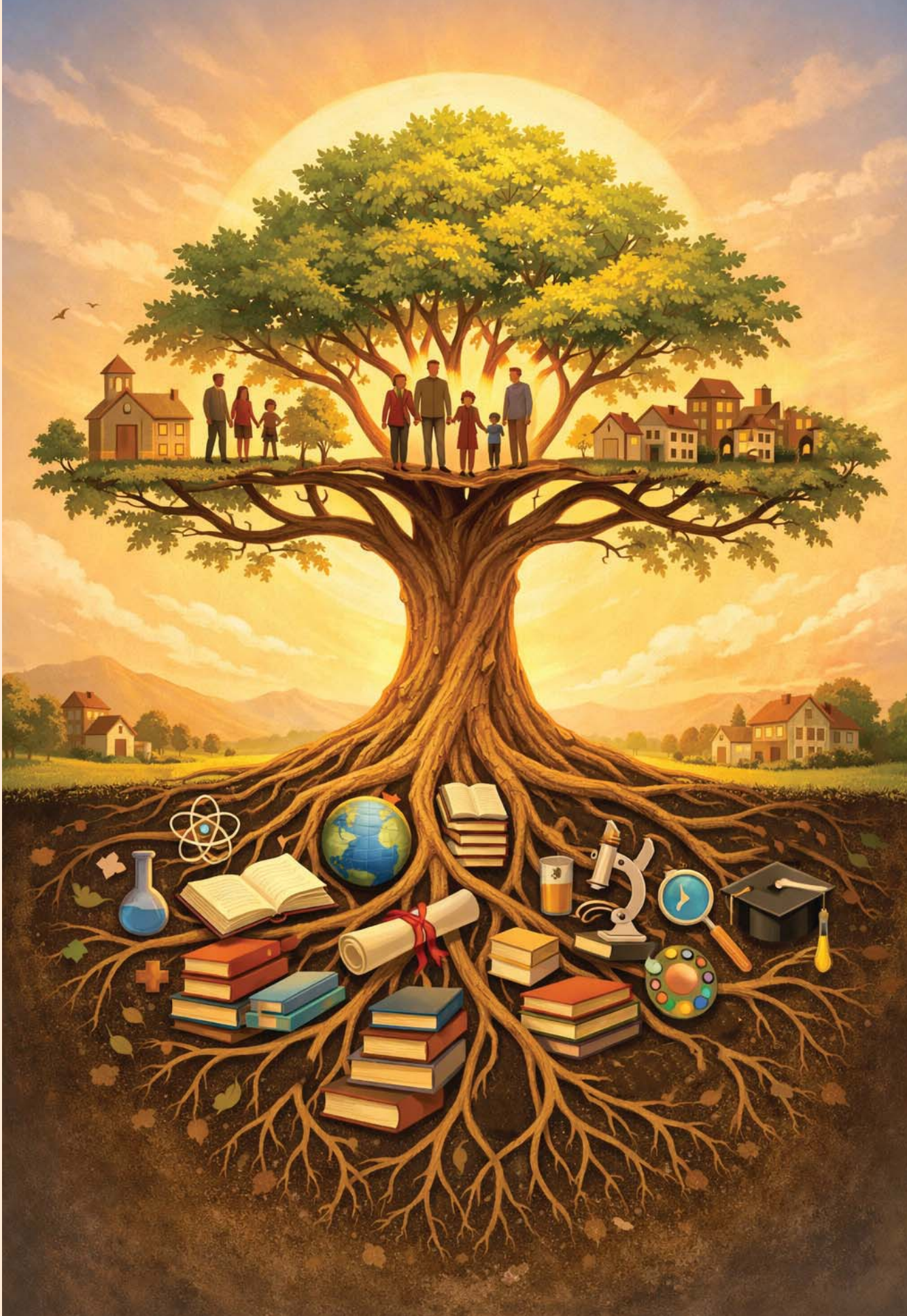
أهمية الدراسات التربوية في بناء المجتمعات

م.م عبد الباقر قحطان الشمخي
جامعة الكوفة / كلية الآداب

تمثل الدراسات التربوية حجر الأساس في بناء المجتمعات الحديثة، فهي تُعنى بتطوير الإنسان الذي يُعدّ الثروة الحقيقية لأية أمة، فالتربية لا تختزل في نقل المعرفة أو تدريب العقل فحسب، بل تمتد لتشمل تشكيل شخصية الفرد، وصقل مهاراته، وتوجيه سلوكه نحو الاندماج الإيجابي في المجتمع، ومع تطور الحاجات البشرية واتساع مجالات الحياة، أصبحت الدراسات التربوية أكثر أهمية من أي وقت مضى، لما تقدمه من رؤى علمية تسهم في قيادة المجتمع نحو التقدم والاستقرار، تهدف هذه المقالة إلى إبراز الدور الحيوي الذي تضطلع به الدراسات التربوية في نهضة المجتمعات، عن طريق تناول أبرز محاور تأثيرها واستعراض الأسس النظرية التي دعمت مكانتها.

أهمية الدراسات التربوية:

تُعدّ الدراسات التربوية من الركائز الأساسية في بناء الفرد والمجتمع، إذ توفر الأسس العلمية لفهم طبيعة الإنسان وكيفية تنمية قدراته العقلية والسلوكية، وتكمن أهميتها في دورها في تشكيل شخصية الفرد وإعداده ليكون قادراً على التكيّف مع متغيرات الحياة والمشاركة الفاعلة في المجتمع، فضلا عن أن هذه الدراسات تسهم في دعم التنمية البشرية عبر تحسين جودة التعليم والارتقاء بمهارات المتعلمين، الأمر الذي يؤثر إيجاباً في النمو الاقتصادي والاجتماعي، وتساعد الدراسات التربوية أيضاً في تعزيز القيم الأخلاقية والاجتماعية ونشر الوعي، ما يسهم في بناء مجتمع متوازن ومستقر، وبالإضافة إلى ذلك، توفر إطاراً علمياً لتطوير الأنظمة التعليمية والمناهج وطرائق التدريس، وتُسهم في مواجهة التحديات التعليمية من خلال تقديم حلول مبنية على البحث والتحليل، ومن خلال هذا الدور المتكامل، تمثل الدراسات التربوية محوراً أساسياً في نهضة التعليم وتطور المجتمع ، وقد أشار دوركايم (ت ١٨٩٣) إلى أن التربية هي الإطار الذي تتكوّن داخله شخصية الفرد، فهي تزرع فيه القيم الاجتماعية وتبني قدراته، مما يجعلها قوة فاعلة في تشكيل مستقبل مجتمع واعٍ يتحمل المسؤولية[1].



التعليم الجيد: الأساس الذي تُبنى عليه المجتمعات:

يُعدّ توفير تعليم ذي جودة عالية الركيزة الأساسية التي تستند إليها عملية التنمية البشرية، إذ يمثّل التعليم الأداة القادرة على تطوير قدرات الأفراد وتنمية مهاراتهم وتمكينهم من التعامل مع متطلبات العصر، فكلما ازدادت قدرة النظام التعليمي على الاستجابة لاحتياجات المتعلمين المعرفية والمهارية، ازدادت فرصهم في المشاركة الفاعلة في عملياته الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ويُسهم التعليم الجيد في تعزيز وعي الفرد وتنمية قيمه واتساع مداركه، مما ينعكس إيجاباً على جودة الحياة ومستوى الإنتاجية العامة، ولهذا يُنظر إلى جودة التعليم بوصفها الاستثمار الأكثر تأثيراً في بناء المجتمع، لأنها تشكّل القاعدة التي يقوم عليها إعداد جيل قادر على الإبداع والمنافسة والمساهمة في تطوير البيئة الاجتماعية والاقتصادية على حدّ سواء ارتباطاً وثيقاً بالنمو الاقتصادي والاجتماعي، وأن الاستثمار في التعليم يُعدّ من أهم أدوات التغيير الإيجابي، وقد بيّن هانوسيك (٢٠٠٥)، إن التعليم الجيد يعتبر أساساً للتنمية الاقتصادية والاجتماعية [٢].

تطوير البرامج التعليمية: استجابة لاحتياجات العصر

يُعدّ تطوير البرامج التعليمية أحد المظاهر الأساسية لاستجابة النظم التربوية لمتطلبات العصر وتحدياته المتجددة، إذ تسهم الدراسات التربوية في إنتاج برامج تتسم بالمرونة والقدرة على مواكبة التحولات العلمية والتكنولوجية، مع الحفاظ على ارتباطها بحاجات المجتمع وقيمه، وتأتي أهمية هذه البرامج من دورها في سد الفجوة بين مخرجات التعليم ومتطلبات سوق العمل، عبر تبنّي مناهج حديثة تركز على تنمية التفكير النقدي والإبداعي، وإتاحة فرص أكبر للتعلم التطبيقي والتجريبي، فالبرنامج التعليمي المصمم وفق أسس علمية لا يقتصر على نقل المعرفة التقليدية، بل يعمل على تحويل المتعلم من متلقٍ سلبي للمعرفة إلى مشارك فعّال في إنتاجها وتوظيفها، بما يعزز قدرته على الإبداع والابتكار، ويمكّنه من مواجهة تحديات المستقبل بثقة وكفاءة، وفي هذا السياق يؤكد فولان (ت٢٠٠٩) أن تطوير المناهج يمثل خطوة حاسمة في تحسين نوعية التعليم وتعزيز كفاءته[٣].

تحسين جودة التعليم عبر تأهيل المعلم

يُعدّ تحسين جودة التعليم مرهوناً بدرجة أساسية بكفاءة المعلم وتأهيله، إذ لا يمكن لأي نظام تعليمي أن يحقق النهوض المنشود ما لم يمتلك معلموه القدرة على الإلهام والتوجيه الفعّال، فالمعلم المؤهل يمتلك من المهارات العلمية والتربوية ما يمكّنه من تحويل المعرفة المجردة إلى خبرة تعليمية حيّة وذات أثر، قادرة على دعم المتعلم وتوسيع آفاقه وتنمية قدراته، ومن خلال هذا الدور المحوري يصبح تأهيل المعلمين وتطوير مهاراتهم المهنية خطوة جوهرية لضمان تعليم نوعي يسهم في بناء شخصية المتعلم ويعزز جودة مخرجات العملية التربوية، وقد

شددت دارلنغ-هاموند (ت٢٠٠٠) على أن كفاءة المعلم تشكل العامل الأكثر تأثيراً في جودة التعليم، وأن الاستثمار في تدريب المعلمين يمثل استثماراً مباشراً في مستقبل المجتمع[٤].

التربية كقوة اجتماعية موجهة

تُعتبر التربية قوة اجتماعية موجهة، فهي تتجاوز وظيفة نقل المعرفة لتشكيل السلوك والقيم الفردية بما يتوافق مع متطلبات المجتمع، من خلال التعليم والتنشئة، يكتسب الأفراد مهارات الانخراط الإيجابي في الحياة الاجتماعية والاقتصادية، ويترسخ لديهم شعور بالمسؤولية والانتماء، كما تسهم التربية في توجيه السلوك الجمعي نحو تحقيق الاستقرار والتماسك الاجتماعي، وتعمل على تعزيز القيم الأخلاقية والثقافية التي تدعم بناء مجتمع متوازن وقادر على مواجهة التحديات، بهذا المعنى تصبح التربية أداة محورية لإعداد أجيال قادرة على المشاركة الفاعلة في تطوير المجتمع، يرى جون ديوي (ت١٩١٦) أن التربية ليست مجرد عملية مدرسية، بل هي عملية اجتماعية شاملة تسعى لإعداد الفرد للعيش بفاعلية داخل المجتمع، وعبر هذا المفهوم يتضح أن الدراسات التربوية لا تُعنى بالفرد وحده، بل تُعنى ببناء مجتمع قادر على التفاعل والإنتاج والتغيير[٥].

مسك الختام:

تُبرز الدراسات التربوية، عند النظر إليها بعمق، أنها تتجاوز كونها مجرد مجال معرفي لتصبح مشروعاً حضارياً متكاملاً يسعى إلى بناء الإنسان وصقل شخصيته، وتطوير المؤسسات التعليمية، وتعزيز قدرة المجتمع على مواجهة التحديات المعاصرة، ومن هذا المنطلق، يُعدّ الاستثمار في الدراسات التربوية وتطويرها واجباً وطنياً واستراتيجياً، إذ تشكّل قاعدة راسخة لنهضة المجتمع واستدامة تقدمه، كما توفر الأسس العلمية والإدارية لتحقيق التنمية الشاملة ورفع جودة الحياة للأجيال القادمة.

---

(١) دوركايم، التربية والفلسفة: ١٢-١٥.

(٢) هانوسيك، التعليم والتنمية الاقتصادية: ١٠-١٢.

(٣) فولان، تغيير التعليم: ١٨.

(٤) دارلنغ-هاموند، إعداد المعلمين للقرن الواحد والعشرين: ٢٤.

(٥) ديوي، الديمقراطية والتربية: ٢٧.



التربية في عصر الشاشات
حين يحلّ لمسُ الشاشة محلّ لمسِ الأيدي

الباحثة محبوبه موسيوند
جامعة الزهراء/ معهد بحوث المرأة - ايران

في زمنٍ غير بعيد، كان معنى الطفولة رائحةَ التراب المبلّل بالمطر، ورُكبةً مجروحة من اللعب، وابتساماتٍ تتردّد في أزقّة الحيّ، كانت ضحكات الأطفال تصنع موسيقى الحياة، ولعبُهم مغامرةً بلا خرائط، واكتشاف العالم رحلةً بالحواسّ الخمس.

الطفولة كانت لمسَ الواقع، والتعرّف على العالم باليد والعين والقدم والقلب، كانت استماعاً لصوت الطبيعة وتذوّقاً للفرح البسيط الذي لا يمكن لأيّ تطبيقٍ أو لعبةٍ إلكترونية أن يعوّضه. أما اليوم، فقد حُبِست الطفولة داخل مربّعاتٍ مضيئة — بين وهجِ الشاشات البارد وضجيج الأصوات الاصطناعية.

أطفالٌ يتعلّمون التمرير بأصابعهم قبل أن يتعلّموا الجري بأقدامهم، يعرفون «الإعجاب» و«المتابعة» قبل أن يختبروا صداقةً حقيقية، جيلٌ ينمو في عالمٍ لا يأتي نوره من الشمس، بل من شاشاتٍ تلتهم النومَ والخيال والوقت في آنٍ واحد.

ومع كلّ هذا الذكاء الطبيعي والقدرات الفطرية، يواجه هؤلاء الأطفال سيلًا من المحفّزات التي تشتّت تركيزهم وتُضعف صبرهم، فالألعاب الرقمية ذات الرسوم الزاهية، ومقاطع الفيديو القصيرة، والشبكات الاجتماعية جعلت كلَّ شيءٍ سريعاً، فورياً، ومؤقتاً، في ظلّ هذا الإيقاع المتسارع، تضيع مهاراتٌ إنسانية ثمينة: الإصغاء، الانتظار، والتعاطف.

أما بالنسبة إلى الآباء والأمهات اليوم، فإنّ هذه التحوّلات تمثّل أكبر اختبارٍ تربويّ في هذا القرن:

كيف يمكن تربية أطفالٍ يتحلّون بالصبر واللطف والقدرة على التماس الحقيقي في عالمٍ تُلبّى فيه الرغبات بلمسةٍ واحدة؟

كيف نُعلّم أبناءنا أن يكونوا مواطنين رقميين مسؤولين، من دون أن نفقد فيهم إنسانيتهم؟

الجواب في كلمةٍ واحدة: التوازن، فالتوازن بين العالم الواقعي والافتراضي، بين الشاشة والتراب، بين اللمس والتمرير، ليس التوازن يعني المنعَ أو التقييدَ، بل يعني الوعي والمشاركة والتوجيه، بدل أن نقول «لا»، يمكننا أن نقول: هيا نرى معاً، بدل الخوف من التكنولوجيا، لنتعلّم كيف نعيشها بذكاءٍ ودفءٍ إنساني.

الآباء الذين يكونون أنموذجاً في استخدام متوازنٍ للتكنولوجيا، يربّون أطفالاً يرون في الأدوات الرقمية وسيلةً للنموّ والتعلّم، لا مهرباً من الواقع، أطفالا يفهمون أن وراء كلّ نقرة قراراً بشرياً، وأنّ التواصل الحقيقي بالعين واللمس والمشاعر لا يمكن لأية شاشةٍ أن تعوّضه.

في النهاية، التربية في عصر الشاشات هي فنّ إيجاد هذا التوازن: أن نُجهّز الطفل للمستقبل، من دون أن نقطع جذوره عن الحاضر والواقع، فأحياناً كلّ ما نحتاج إليه هو إطفاء الشاشات، وسماع ضحكةٍ حقيقية، ولمس الأرض من جديد، فالطفل قبل أن يتعلّم كيف يستخدم التكنولوجيا، يجب أن يتعلّم كيف يكون إنساناً، أن يشعر، أن يلمس، أن يفهم، وأن يحبّ، وهذا درسٌ لا يمكن لأي تطبيقٍ في العالم أن يقدّمه.

من «قول لا» إلى «شاهد معي»:

ردّة الفعل الأولى لدى كثيرٍ من الآباء تجاه العالم الرقمي هي الخوف، خوفٌ من الإدمان، ومن المحتوى غير اللائق، ومن العزلة، ومن مستقبلٍ تُستبدَل فيه الحوارات بالرسائل النصية، ونظرات العيون بالرموز

التعبيرية، إن الآباء يخشون أن يغرق أطفالهم في غرفٍ مضيئةٍ باردة، أمام شاشاتٍ تبثّ لهم العالم بلا توقّف، لكن بلا عمقٍ أو تجربةٍ حقيقية.

غير أنّ الحقيقة هي أنّنا لم نعد نستطيع فصل الشاشة عن الحياة، فالتكنولوجيا لم تعد ضيفاً عابراً، بل أصبحت عضواً دائماً في الأسرة، مثل اللغة والطعام والهواء، وجودها طبيعي، والهرب منها مستحيل، وتجاهلها بلا جدوى.

السؤال لم يعد: كيف نتجنّبها؟ بل: كيف نعيش معها بحكمةٍ وإنسانية؟

وهنا يولد مفهوم التربية الرقمية، تربيةٌ لا تقوم على الخوف والمنع، بل على الوعي والحوار والمرافقة.

فالمنع المطلق يوقظ الفضول، أمّا المشاركة فتزرع الثقة، بدلاً من أن نقول بصرامةٍ: (ضع هاتفك جانباً)، يمكن أن نقول: (تعال نشاهد معاً).

في هذه الجملة القصيرة تكمن معجزةٌ تربوية، فعندما يرى الطفل والديه إلى جانبه في عالمه الرقمي، يتعلّم أنّ التكنولوجيا ليست عدواً، بل أداةٌ تحتاج إلى إدراكٍ وحدود، بهذا، يتكوّن لدى الطفل فهمٌ أعمق للمسؤولية والاختيار والتفكير النقدي، فالطفل الذي يشاهد مع والده اليوم، سيكون غداً إنساناً يتحاور مع العالم لا يكون منغلقاً عنه.

الآباء الخوارزميّون أم الآباء الواعون؟

في عصر الذكاء الاصطناعي، لم يعد عالم الأطفال بريئاً كما كان قبل أن يعرف الطفل معنى الاختيار، تتسلّل الخوارزميات لتقرّر عنه: ما يشاهده، وما يسمعه، بل حتى ما يحبّه، فعالمه صار مُصمّماً خصيصاً له، لكنه ليس بالضرورة أكثر إنسانية، كلّ فيديو، كلّ إعلان، كلّ لعبة، وراءها عقلٌ آليّ لا يبحث عن سعادته، بل عن انتباهه.

وهنا، تتضاعف مسؤولية الآباء: لم يعودوا مجرّد واضعي حدود، بل أصبحوا مرشدين ومفسّرين لهذا العالم الخفي، عليهم أن يعلّموا أبناءهم أنّ وراء كلّ شاشة منظومةً من المصالح والقرارات غير المرئية.

الطفل الذي يُربّى على المنع وحده، سيكسر الحواجز في أول فرصة، لكنّ الطفل الذي يفهم (لماذا) و(كيف) يستخدم التكنولوجيا، سيكون أقدر على المقاومة والاختيار الواعي، وسيكبر ليصبح مواطناً رقمياً مسؤولاً، يفرّق بين الإنسان والآلة، وبين الاختيار الحقيقي والمفروض عليه، وهذا لا يتحقّق إلا بآباءٍ حاضرين بوعيهم، لا بخوفهم؛ آباءٍ يجلسون إلى جانب أطفالهم، يشجّعون فضولهم، يجيبون عن أسئلتهم، ويسيرون معهم في رحلة اكتشاف العالم الواقعي والرقمي معاً.

اللمس الحقيقي في العالم الافتراضي

التربية في عصر الشاشات هي قبل كلّ شيء فنّ التوازن – التوازن بين السرعة والسكينة، بين النقرة والنظرة، بين فضاءٍ رقمي لا حدود له، وأرضٍ حقيقيةٍ تحت أقدامنا، ربّما علينا أحياناً أن نُطفئ كلّ الشاشات، لنسمح لأشعة الشمس أن تلمس وجوهنا من جديد، أن نغرس أيدي أطفالنا في التراب، نستمع إلى زقزقة العصافير، وننظر إلى السماء بلا فلاتر.

في هذه اللحظات البسيطة، يتعلّم الطفل أين تكمن الحقيقة في (البِكسلات)، أم في أنفاس الحياة؟

فمهما بلغت التكنولوجيا من ذكاء، لا يمكنها أن تحلّ محلّ التجربة الإنسانية الحقيقية.

الطفل قبل أن يتعلّم كيف يستخدم التكنولوجيا، يحتاج أن يتعلّم كيف يعيش، كيف يشعر، كيف يحبّ، وهذا درسٌ لا يقدّمه أي تطبيقٍ أو شاشة، بل الوجود الواعي والمحبّ للوالدين فقط.

التربية في هذا العصر ليست حمايةً من العالم، بل جسرٌ بين عالَمين: رقميّ وواقعيّ، ليكبر الطفل إنساناً لا آلة، ويدخل المستقبل من دون أن ينسى جوهر إنسانيته.

علموا أبناءكم حب النبي وآله عليهم السلام

لا تقتصر تربية الأولاد ورعايتهم على إشباعهم مادياً أو عاطفياً فحسب، بل هناك تغذية مهمة جداً هي التغذية العلمية والعقدية؛ فمن واجبات الآباء والأمهات الرئيسة تعليم الأطفال وتعويدهم على حب الرسول محمد وأهل بيته الكرام (صلوات الله عليهم أجمعين).

إن حب آل بيت محمد عليهم السلام عقيدة مستمدة من كتاب الله تعالى وسنة نبيه المصطفى صلى الله عليه وآله، فلا سلامة لمن لا يلهج بحب رسول الله وأهل بيته الطيبين الطاهرين، كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: ((أحبُّوا الله لِما يَغذوكُم من نِعَمِهِ، وأحبُّوني بِحُبِّ الله، وأحبُّوا أهلَ بيتي لِحُبِّي))[1].

فعلى أولياء الأمور أن يهيئوا لأهل البيت عليهم السلام مكاناً خاصاً في قلوب الأولاد منذ الصغر؛ لأن "التعلم في الصغر كالنقش على الحجر"، ولأن "من شبّ على شيء شاب عليه". لذا، يجب على ذوي الأولاد بيان سيرة محمد صلى الله عليه وآله وآل بيته عليهم السلام لأبنائهم، وإخبارهم بأن الله تعالى أمرنا بحبهم لما لهم من المنزلة العظيمة عنده، ولأنهم أشرف خلق الله وأعظمهم، وتعليمهم أن حبهم وطاعتهم واجبة على كل من يريد نيل رضا الباري عز وجل.

كما يجب أن نروي لهم التضحيات التي قدمها رسول الله صلى الله عليه وآله لإيصال الدعوة والإسلام إلينا، وأن يعرفوا العقبات التي واجهها أهل بيته عليهم السلام من بعده، وكيف ضحوا بكل ما يملكون في سبيل الله وإعلاء دين الحق، إذ جادوا بأنفسهم وأولادهم وأموالهم، كذلك يجب ذكر فضائل حب أهل البيت عليهم السلام والسير على نهجهم، وتوضيح أن من خالف هذا الطريق فقد عرض نفسه للخسران والابتعاد عن رحمة الله.

ومن الضروري أيضاً أن يقوم الآباء والأمهات بإحياء المناسبات في مواليد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله والأئمة الأطهار عليهم السلام، ليشعر الأولاد بمكانة هؤلاء الأطهار وعظمة هذه الأيام؛ وذلك عبر إحضار الحلوى ومظاهر الأفراح لترسخ الذكرى في أذهانهم. وفي المقابل، يجب إحياء ذكرى وفاتهم واستشهادهم عليهم السلام، وإظهار الحزن والمواساة، وتذكير الأبناء بما عانوه من ظلم في سبيل إيصال معالم الدين الصحيحة وإرشاد الناس إلى طريق الهداية والصلاح.

فعلينا جميعاً أن نستشعر حجم المسؤولية الملقاة على عاتقنا، وأن نؤدي الرسالة التي كُلفنا بها تجاه أولادنا بالطريقة المثلى، لتستمر المسيرة المحمدية خالدة أبد الدهر.

١- المجلسي، بحار الأنوار: ٢٧/ ١٣٤.


محمد

ببليوغرافيا العلوم

- جاسم النجفي أيقونة الخط العربي

الأستاذ الدكتور باقر الكرباسي

- أبرز الكتب والإصدارات التي وصلت إلى مكتبة الروضة الحيدرية المطهرة



أيقونة الخط العربي

الأستاذ الدكتور باقر الكرباسي

في يوم الثلاثاء ٧ شعبان ١٤٤٧هـ الموافق ٢٧/ ١/ ٢٠٢٦ ودّعت النجف الأشرف أحد أعمدة الفن العربي، لتبقى أعماله الفنية تراثًا خالدًا شاهدةً على اتقانه وتفانيه في خدمة المشاريع الإسلامية، الخطاط الأستاذ جاسم النجفي.

رحمك الله وحشرك مع أوليائك محمد وآله الطاهرين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

الخط العربي في مقدمة الفنون العربية والإسلامية، وهو هوية هذه الأمة ومن مصادر فخرها واعتزازها، ويؤلف بصمتها الخاصة في المحافل بين الأمم، وينفرد أيضاً عن الفنون الأخرى بقيمته الدينية والتربوية التي يحملها عن طريق النص المخطوط من القرآن الكريم والحديث الشريف والحكم والأقوال المأثورة، إنّه الوسيلة الأجمل التي تنقل الى الآخرين قيمنا الإنسانية والأخلاقية، والخط العربي قبل أن يصبح فنّاً قائماً بذاته هو وسيلة كتابة ووعاء علم، وهو فن لن يموت، يقول ابن خلدون (ت٨٠٨هـ) في مقدمته: (الخط هو رسوم وأشكال حرفية تدل على الكلمات المسموعة الدالة على ما في النفس، فهو ثاني رتبة من الدلالة اللغوية وهو صناعة شريفة إذ الكتابة من خواص الإنسان التي يتميز بها عن الحيوان). وتاريخياً لا توجد أدلة صحيحة تساعد الدارسين في تحديد الموطن الأصلي للخط وشكله الذي ألِفه أصحاب الكتابة، إلاّ أنّ الروايات أجمعت أنَّ الخط العربي والكتابة ظهرت في حضارة اليمن في القرنين الأول والثاني قبل الميلاد حين بسطت سيطرتها على الجزيرة العربية، وكان الخط يعتمد في الكتابة اللغة الحميرية السائدة آنذاك، إذ كانت الدولة تهتم بتدوين معاملاتها التجارية ثم دونت بقلمها المسند النصوص الثمودية واللحيانية، ثم نقلِ هذا الحرف إلى دولة المناذرة في العراق ومن ثم نقلَه المناذرة إلى مكة والطائف[١].

وفي رسائل إخوان الصفا: (وبالطبع كان المصحف الشريف هو الميدان لفن تجويد الخط، ومن آداب كتابة المصحف أنْ يُكتب بأحسن الخطوط وأقومها وأكملها وأتمّها، ولا يجب أنْ يُكتب بالخطوط الناقصة التي ليست موزونة ولا معتدلة، لئلا يتصحف على قارئه، ويُكثر الخطأ واللحن والزلل فيه عند القراءة).

تتبع المدارس الفنية المختلفة لفن الخط غالباً مراكز الخلافة، فأولى المدارس الخطية هي المدرسة العراقية التي أرست أصول وقواعد هذا الفن، وانتهت جودة الخط وتحريره في بداية القرن الثالث الهجري إلى الوزير أبي علي محمد بن مقلة (ت ٣٢٨هـ)، وقد تسلّم ابن مقلة الوزارة لثلاثة من الخلفاء العباسيين وهو الذي هندس الحروف وأجاد تحريرها وأسس قواعدها وعنه انتشر الخط في مشارق الأرض ومغاربها[٢].

تقول الباحثة سهيلة الجبوري: (لقد اقترن اسم ابن مقلة بمدرسة بغداد للخط العربي أولاً، ومن ثم أصبح العلمَ الأبرز في العالم الإسلامي والعربي بحرفة الخط وهندسة حروفه، فهو المهندس الأول للخط العربي، وهو الذي زاد على مبتكرات سابقيه، وقد سمّى الخط الموزون بالخط المنسوب). واشتهر كذلك أبو الحسن على بن هلال المعروف بابن البواب (ت ٤١٣هـ)، وهو الذي أكمل قواعد الخط وتمّمها واخترع غالب الخطوط التي أسّسها ابن مقلة، وقد بلغت الأقلام التي نقلت عن ابن البواب ستة عشر خطّاً منها: الطومار والثلث والمحقَّق والنسخ والريحان، ولابن البواب قصيدة رائية مشهورة يذكر فيها صفات الأقلام وآداب وقواعد الكتابة، مطلعها:

يا مَن يريد إجادة التحرير
ويروم حسن الخط والتصوير
إنْ كان عزمك في الكتابة صادقاً
فارغب إلى مولاك في التيسير

إنَّ التاريخ الشخصي لأي إنسان يبدأ بالمكان، فطبيعة المرء امتداد لطبيعة الأرض التي تألفت عليها ملامحه الأولى، وهنا أتحدث بعدما قدمت من مقدمة عن الخط العربي عن فنان وخطاط ملأت لوحاته المزينة بخط جميل ورائق كل المؤسسات والمنتديات في النجف الأشرف وبعض من مناطق العراق، النجف الأشرف المدينة المعطاء والتي ولد فيها أيقونة الخط العربي الفنان جاسم حمود حسين العكايشي النجفي، والذي اشتهر بالخطاط جاسم النجفي، ولد في سنة ١٩٥٠م، وتشرّب من هذه المدينة التي نشأ فيها حبّ اللغة العربية وفنّها الكتابي في السنوات المبكرة من عمره، فكانت دافعاً لتطور ملكته الفنية في الخط العربي، علّم النجفي نفسه بنفسه أصول الخط العربي من دون الاستعانة بالآخرين سوى شغفه وسليقته معتمداً على ذاته، وهي صفة لصيقة بالمبدعين دائماً، والطريف بالأمر أنه بدأ في الابتدائية برداءة الخط وكان يعاني من ذلك وأحياناً يتعرض للضرب من معلمه لرداءة خطه، ولكن صفة التحدي كانت ملازمة له، فاعتمد على كراسة قواعد الخط العربي التعليمي للمرحوم هاشم الخطاط البغدادي في تحسين مهاراته وتقليد أسلوب البغدادي، الذي جمع بين أسلوب المدرسة العثمانية والبغدادية في آنٍ واحد بكراسهِ الشهير، وقد قال خطاطنا النجفي: (مما يُعاب عليَّ أنّني أقلّد أسلوب الكتابة، والخط لدى البغدادي وفي ذلك شرف عظيم لي)، وكانت للنجفي مراسلات مع الخطاط هاشم البغدادي منذ سنة ١٩٦٩م ، ولم تكن لديه في وقتها إجازة في الخط، لأنه لا يعير اهتماماً بإجازات الخط من غيره من الخطاطين الكبار معتبراً أنّ ذلك لا قيمة له الآن، لأن الخطاط يجيز نفسه ببراعة أسلوبه، وقد اطلع الخطاط التركي الذائع الصيت حامد الآمدي على خطوط جاسم النجفي وحينما توفي الخطاط هاشم البغدادي في سنة ١٩٧٣ قال الآمدي: (عندما توفي هاشم حزنت عليه وعلى مستقبل الخط في العراق، ولكنني بعدما رأيت خطوط ولدي جاسم بهذا المستوى ذهب حزني).

دخل جاسم النجفي مجال فن الخط العربي كما تدخل الفراشة في حقل الزهور، دخل عالماً يشبهه، عالم متشبع بالفن والثقافة، فلم يكن خطاطاً تقليدياً، كان وما زال خطاطاً بمرتبة فارس، محترفه يشبهه كثيراً، وهذا لن يفاجئك حين تزوره نظراً للتقارب ما بين شخصية جاسم النجفي وتفاصيل المكان، يقول: (هنا مملكتي، هنا أقضي ساعات طويلة من يومي، الضوء يجب أن يسود المكان، أنا إنسان أعشق النهار ولا أحبّ العتمة أبداً)، في محترفه هذا اكتفى النجفي أن يحتضن كل جنون فنّه.

ومن نِعَم الله سبحانه وتعالى على الإنسان أنْ يُبقي لِعَبدِهِ ذكراً حسناً، فالأعمال الحسنة هي التي تخلّد الإنسان، يقول خطاطنا النجفي: أنا أؤمن بأنَّ الجمال والفن أمران متوارثان فهما في جيناتنا، كانت تفاصيل المدينة وأزقتها ورسومات الجدران وخطوطها تدهشني وتصيبني بالذهول.

يرى أحد الباحثين: أنه نتيجة للعلاقة الروحية بين الخط والكتابة والفكر الإسلامي ظهرت مدارس مستقلة في العالم الإسلامي لها سماتها في الخط والكتابة وتعليمها، مثل: مدرسة الكوفة وبغداد والحجاز وفي مصر مدرسة الشيخ ابن أبي رُقَيْبة والشيخ محمد الزفتاوي، أمّا أسماء الخطوط ومصطلحاتها فقد عرفت بأسماء أمصارها ومدنها منها الخط الكوفي والخط البصري والخط التونسي والخط الأندلسي والخط القرطبي والخط القيرواني والخط الفارسي.

إنّ الخط هو الرموز التي أصبحت على شكل حروف ذات قواعد ونسب ومقاييس ثابتة، لا يمكن الخروج عنها ولكونه فنّاً تشكيلياً فهو يخضع للابتكار والتجديد والتحسين والتغيير بصورة مستمرة، ولقد كانت إبداعات الفنان جاسم النجفي في تجويد الخط وما زالت مثار اهتمام الجميع من الأدباء والفنانين والمثقفين، إذ إنّ خطّه يضرب مثلاً في الحسن لأنَّه من أحسن الخطوط، فقد أسّس جاسم النجفي رؤية جمالية في الخط العربي، وكان له بعدٌ جمالي يستعمل كل أحاسيسه للتعبير بها فنياً في مجال رسم الحرف العربي، أي أنّ التشكلية الخطية عنده يجب أنْ تكون حيوية وحركية، كان محترفه الكائن في بداية شارع زين العابدين المفضي إلى ضريح الإمام علي عليه السلام، كان قبلة لهواة الخط العربي وأكاديمية مصغرة للعشرات من طلابه، الذين تلمذوا على يديه، وتعلموا أخلاقيات الخط وأسراره وتقنيات صناعة الأحبار وتثقيف قصب الخط، وكيفية التعامل مع الورق المستعمل في الخط، وكان يوصي طلابه بأن يكونوا على وضوء قبل شروعهم في مشق الخطوط كونهم يتعاملون مع آيات القرآن الكريم المقدسة والأحاديث النبوية الشريفة وخطب الأئمة، فقد ظل ابن مدينة النجف متمسكاً بإرث الآباء والأجداد، وليخط بيديه لوحات إبداعية تبرز مهارته المتقنة في نسخ وكتابة الخط العربي بأنواعه، متفوقا بذلك على الأجهزة الحديثة كافة.

في سنة ١٩٧٧م أقام خطاطنا النجفي معرضه الشخصي الأول في النجف، وتلاه المعرض الثاني في سنة ١٩٧٩م في المدينة نفسها، وكان من بين الحضور لهذين المعرضين فنانون تشكيليون ورجال دين ومثقفون وهي من التجارب الجديدة على هذه المدينة آنذاك، ومن أعمالِهِ القائمة جملة من الخطوط المركبة على جدران وقباب ومنائر العمارة الإسلامية في ضريح الإمام علي عليه السلام ومرقد مسلم بن عقيل ومرقد ميثم التمار ومسجد السهلة ومسجد الحنانة والجامع الهندي ومسجد الجواهري ومسجد السيد السبزواري وحسينية الحسن المجتبى ومسجد الزهراء وجامع الحاج عطية جبوري ومسجد الجواد ومنارتي ضريح الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء ومسجد ومرقد العالم الفقيه الشيخ ابن نما الحلي الأسدي في بابل.

عاصر الخطاط النجفي مجموعة من خطاطي العالم المشهورين، منهم خطاط كربلاء الأول الشيخ محمد علي داعي الحق الكربلائي، وله اتصالات وثيقة مع خطاطي مصر والكويت وتركيا وإيران

ولبنان والبحرين والمهتمين بالخط أمثال الياباني كوتشي هوندا مدير معهد متخصص في الخط واللغة العربية في اليابان، وخبير الخطوط الصينية واللاتينية والعربية لي ين يان، ومن خطاطي العرب المصري محمد غني البوكاتو وهو من تلامذة الآمدي، حصل خطاطنا النجفي على اثنتي عشرة جائزة دولية وعالمية إضافة إلى اعتباره عضواً دائماً في اللجنة الدولية للمحافظة على التراث الحضاري الإسلامي في إسطنبول ووسامين ذهبيين ومجموعة هويات لمنتديات عربية وعالمية.

وقد سئل بعض الكتّاب عن الخط، متى يستحق أنْ يوصف بالجودة؟ فأجابوا: (إذا اعتدلت أقسامه، وطالت ألفه ولامه، واستقامت سطوره، وضاهى صعوده حدوره، وتفتحت عيونه، ولم تشبه راؤه نونه، وأشرق قرطاسه، وأظلمت أنفاسه، ولم تختلف أجناسه، وأسرع إلى العيون تصوره وإلى العقول ثمره، وقدرت فصوله، واندمجت وصوله، وتناسب رقيقه وجليله، وخرج عن نمط الوراقين، وبعد عن تصنع المحدرين، وقام الكتابة مقام النسية والحلية). ومن المهرجانات التي شارك بها خطاطنا النجفي مهرجان أرسيكا للخطوط في ثمانينيات القرن الماضي الذي أقيم في تركيا، وكان من الفائزين في هذا المهرجان، إذ انبهر الخطاطون الأتراك من جودة خط النجفي وسرعته في مشق خط الثلث وهو من أصعب الخطوط العربية على الإطلاق، وقد وثق الخطاطان التركيان داود باكتاش ومحمد اوزچاي ذلك بوثيقة جاء فيها: (بسم الله الرحمن الرحيم: عندما دققنا خط أخينا جاسم وجدنا أنه قد جمع في خطه السرعة والجمال ولا يوجد أحد قد جمع في خطه هذه المواصفات في إسطنبول).

يُعَدّ النجفي مبدعاً متجدداً يتجدد ولا يتجمد على صيغة واحدة، وفيه مجال واسع للإبداع وقد ميز تجربته الإبداعية بأن أدخل التشكيل في الخط وبذلك يعد أول من خاض هذه التجربة، لقد بات النجفي بعد مشواره الطويل في ممارسة الخط العربي سفيراً له أينما حَلّ، ويسجل له أنه ضارع الخطاطين الإيرانيين في عقر دارهم وفاق أرباب خط التعليق أو الخط الفارسي حينما قدم خطوطه في إيران، بل انتقد أرباب الحرفة فكان لا يخلو من ملاحظة تثير إعجاب كبار خطاطي إيران، الخطاط جاسم النجفي شجرة وارفة الظلال أصيلة الجذور يستظل بها تلاميذه في فن الخط العربي، وما كلمتي هذه إلّا اعتزاز وتثمين لمسعىً دؤوب وعطاء وافر تهيأ له أنْ ينجزه في مجال الخط العربي.

١- إبراهيم ضمرة، الخط العربي، جذوره وتطوره: ١١.
٢- صبح الأعشى: القلقشندي: ٣/ ١٧.
٣- الجهشياري: الوزراء والكتّاب، ص٨٢.
٤-الخط العربي وتطوره، ص٧٠.
٥-الفصل الثلاثون في الخط والكتابة / ص٢٦٦.
٦-مج٣، ص٤٦.

أبرز الكتب والإصدارات التي وصلت إلى مكتبة الروضة الحيدرية المطهرة

تصل الى مكتبة الروضة الحيدرية المطهرة مئات العناوين شهريًا في مختلف المواضيع العلمية والإنسانية والتاريخية والدراسات والبحوث ، إذ تحوي على عديد من المصادر والمراجع في اتجاهات عدة ، لتكون منهلاً مهماً للقراء والباحثين، وفي هذا الباب نحاول إبراز عدد من الكتب المهمة التي وصلت هذا الشهر الى المكتبة..



العنوان: تجربة العالم الثالث (مدخل عام)
المؤلف: عفيف دمشقية
الناشر: معهد الانماء العربي
مكان وجود الكتاب: ٢٠ ٦ ٨٠e



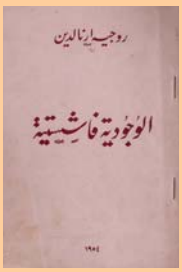
العنوان: الشيعة ودولة التنظيمات في العراق العثماني (١٩١٠-١٨٣٠)
المؤلف: ارخان بكتاش
الناشر: دار المرهج
مكان وجود الكتاب: ٦١ ٥ ٢٧a



العنوان: ماهو دليلي على اختياري التشيع؟
المؤلف: محمد الموسوي
الناشر: مؤسسة الثقلين الثقافية
مكان وجود الكتاب: ٦٢ ٥ ٢٧a



العنوان: نقد خمس مقالات للدكتور سروش
المؤلف: منير الخباز
الناشر: دار المرتضى
مكان وجود الكتاب: ٢١ ٥ ٣٥e



العنوان:الوجودية فاشستية
المؤلف: روجيه ارنالدين
الناشر: مطبعة دار المعرفة
مكان وجود الكتاب: ٥١ ٦ ٩٦g



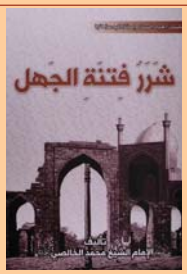
العنوان: الاجوبة النجفية عن الفتاوى الوهابية
المؤلف: هادي كاشف الغطاء
الناشر: مؤسسة بوستان كتاب
مكان وجود الكتاب: ٢٣ ٥ ٣٥e



العنوان: المشاهد المشرقة والوهابيون
المؤلف: محمد علي بن حسن الهمداني السنقري الكردستاني
الناشر: دار مشعر
مكان وجود الكتاب: ٣٥e ٥ ٢٤



العنوان: احياء السنة واماتة البدعة
المؤلف: محمد الخالصى
الناشر: مركز وثائق الامام الخالصي
مكان وجود الكتاب: ٣٥٥ ١١٩



العنوان: شرر فتنة الجهل
المؤلف: محمد الخالصى
الناشر: مركز وثائق الامام الخالصي
مكان وجود الكتاب: ٣٥٥ ١٢٠



العنوان: فتاوى السلفيين من تحريم الخيار الى نكاح الجهاد
المؤلف: اعداد : مركز الدراسات الاستراتيجية
الناشر: مركز الدراسات الاستراتيجية
مكان وجود الكتاب: ٣٥٥ ١٢١



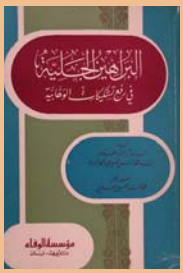
العنوان: الذكاء الاصطناعي كذات قانونية التوجه المعاصر للمسؤولية عن اضرار الذكاء الاصطناعي
المؤلف: منى نعيم جعاز الشياعي
الناشر: المركز العربي للدراسات
مكان وجود الكتاب: ٧٧L ٦ ٤٢



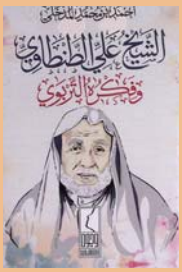
العنوان: مختصر الفوارق بين المدرسة الاخبارية والمدرسة الاصولية
المؤلف: امجد الساعدي
الناشر: دار ومكتبة كلكامش
مكان وجود الكتاب: ٣٥٥ ١٢٣



العنوان: رأى ابى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ فى معاوية والامويين
المؤلف: عمرو بن بحر الجاحظ
الناشر: [لانا]
مكان وجود الكتاب: ٣٥٥ ١٢٤



العنوان: البراهين الجلية في رفع تشكيكات الوهابية
المؤلف: محمد حسن القزويني الحائري
الناشر: مؤسسة الوفاء
مكان وجود الكتاب: ٣٥٥ ١٢٥



العنوان: **الشيخ علي الطنطاوي وفكره التربوي**
المؤلف: احمد بن محمد المدخلي
الناشر: دار وجوه
مكان وجود الكتاب: ٤٣i ٥ ٥٩



العنوان: الكتب المقدسة (التوراة والانجيل والزبور)
المؤلف: عبدالرسول زين الدين
الناشر: مؤسسة قصبة الياقوت
مكان وجود الكتاب: ٣٧e ٢ ١٦



العنوان: اله التوراة اله القرآن حوار مع جون – لوي شليغل
المؤلف: توماس رومر
الناشر: دار دجلة الاكاديمية
مكان وجود الكتاب: ٣٧e ٥ ٣٩



العنوان: في الفكر الشيوعي الفلسطيني
المؤلف: ماهر الشريف
الناشر: مركز الابحاث و الدراسات الاشتراكية في العالم العربي
مكان وجود الكتاب: ٨٠e ٦ ٢٥



العنوان: مع العلويين في سوريا
المؤلف: محمد رضا شمس الدين
الناشر: مطبعة الانصاف
مكان وجود الكتاب: ٣٧e ٥ ٤١



العنوان: فلك الانوار ومحك الاشعار
المؤلف: ناصر بن ابي نبهان جاعد بن خميس الخروصي
الناشر: وزارة التراث والثقافة
مكان وجود الكتاب: ٢٢c ٢ ٣١



العنوان: حركة الخوارج وادبهم حتى نهاية فترة الحكم الاموي : دراسة ادبية تاريخية
المؤلف: مجيد بكتاش
الناشر: [لانا]
مكان وجود الكتاب: ٣٧e ٦ ٣



العنوان: من محاضرات الاربعاء : الصلب بين الحقيقة والوهم
المؤلف: ثامر مير مصطفى
الناشر: [لانا]
مكان وجود الكتاب: ٣٧e ٥ ٤٢



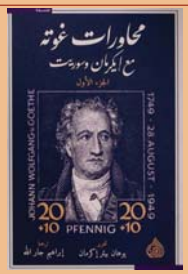
العنوان: زهر الافنان من حديقة ابن الونان
المؤلف: احمد بن خالد الناصري السلاوي
الناشر: منشورات ملتقى الطرق
مكان وجود الكتاب: ٢٢c ٢ ٣٢-٣٣



العنوان: ملاحظات انتقادية حول المسألة الوطنية : حق الامم في تقرير مصيرها
المؤلف: لينين
الناشر: دار الطبع و النشر باللغات الاحنبية
مكان وجود الكتاب: ٨٠e ٦ ٢٣



العنوان: المنهج الفلسفي للرفض العربي
المؤلف: حازم طالب مشتاق
الناشر: مطبعة جامعة بغداد
مكان وجود الكتاب: ٣٦ ٤ a٩٧



العنوان: محاورات غوته مع ايكرمان وسوريت
المؤلف: يوهان بيتر ايكرمان
الناشر: الرافدين
مكان وجود الكتاب: ١٦ ١ d٩٦



العنوان: حدود المعرفة في العلوم والتاريخ والعقل
المؤلف: انتوني ك . غرايلنغ
الناشر: دار الساقي
مكان وجود الكتاب: ٣٣١ ٣ g٩٦



العنوان: العرب و آسيا
المؤلف: علي محمد المياح و اخرون
الناشر: بيت الحكمة
مكان وجود الكتاب: ٢٤ ٦ e٨٠



العنوان: قضايا حول المسألة الريفية الاشتراكية في بلدنا
المؤلف: كيم ايل سونج
الناشر: مطبعة عبده و انور احمد
مكان وجود الكتاب: ٢٦ ٦ e٨٠



العنوان: نظرية المؤامرة في الفكر السياسي : قراءة في الاسس النظرية للتفكير المؤامراتي و نقده
المؤلف: اثير عادل شواي
الناشر: دار دجلة الاكاديمية
مكان وجود الكتاب: ٢١ ٦ e٨٠



العنوان: نقد العقل الجدلي : الماركسية والوجودية
المؤلف: جان بول سارتر
الناشر: المركز العربي للثقافة والعلوم
مكان وجود الكتاب: ٥٤ ٦ g٩٦



العنوان: فكر عالميا و تصرف محليا نحو نظرية ممارسة موحدة لليسار العالمي
المؤلف: فرحان قاسم
الناشر: دار و منشورات جلجامش
مكان وجود الكتاب: ٢٢ ٦ e٨٠



العنوان: آلة المعرفة كيف صنعت اللاعقلانية العلم الحديث
المؤلف: مايكل ستريفنز
الناشر: نادي الكتاب
مكان وجود الكتاب: ٥٣ ٦ g٩٦

تراث الخزانة العلوية

- إبداع ورصانة:
  الخزانة العلوية تحمي تراثها عبر صناديق
  متحفية نفيسة

الباحث والمرمم حسين الشيباني
العتبة العلوية المقدسة

إبداع ورصانة:
الخزانة العلوية تحمي تراثها عبر صناديق متحفية نفيسة

الباحث والمرمم حسين الشيباني
العتبة العلوية المقدسة

تُعدّ الخزانة العلوية التي هي في حرم المرقد المطهر للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في النجف الأشرف إحدى أهم الخزانات في العالم الإسلامي، لما تحتفظ به من رصيد مخطوط فريد، يمتد لأكثر من ألف عام. وقد مثّلت هذه الخزانة وجهة علمية مرموقة، ومركزًا حيًا لحفظ التراث الإسلامي المكتوب، إذ تضم مخطوطات ومصاحف نادرة تعود إلى عصور مختلفة، بدءًا من القرن الأول الهجري، الأمر الذي يجعلها شاهدًا على تطور الكتابة العربية، وأساليب التزيين، ومناهج النسخ عبر التاريخ الإسلامي[1].





تراث خطي عبر العصور

تضم الخزانة مجموعة ثمينة من المصاحف المخطوطة، من بينها تسعة مصاحف مكتوبة على الرق، تعود إلى القرون الأولى للهجرة، وتمثل نماذج واضحة لتطور الخط العربي والزخرفة الإسلامية في مدارس متعددة مثل العباسية، والتيمورية، والهراتية، والشيرازية، والصفوية، والعثمانية والهندية وغيرها من المدارس الإسلامية. ويعكس هذا التنوع مدى التغيرات الفنية التي شهدتها الحضارة الإسلامية، وارتقاء فنون الكتابة وجماليّاتها في كل مرحلة تاريخية[٢].

ولا تقتصر مقتنيات الخزانة على المصاحف، بل تشمل العشرات من المخطوطات التي تنتمي إلى مختلف مجالات العلم: الطب، والفلك، والرياضيات، واللغة، والفقه، والفلسفة. وتمتاز الخزانة بوجود عدد كبير من "المخطوطات اليتيمة" التي لا نظير لها في مكتبات العالم، ما يعزز مكانتها بوصفها مؤسسة فريدة لحفظ الذاكرة العلمية الإسلامية[٣].

صناديق متحفية نفيسة: بين العلم والفن

تبنّت الخزانة العلوية منهجًا حديثًا في حفظ المخطوطات، عبر تصميم صناديق متحفية عالية المواصفات تحفظ المخطوطات من عوامل التلف البيئي والميكروبي. وقد صُنعت هذه الصناديق من مواد خالية من الأحماض (Acid-Free Materials)، مثل الكرتون المعالج والخشب المحايد، كما غُطيت بجلود مختارة بعناية لضمان عدم تفاعلها مع الأحبار أو الرق مع مرور الزمن[٤].

توفر هذه الصناديق عزلًا فعالًا ضد الرطوبة والحرارة والضوء، إضافة إلى منع الحشرات والفطريات التي تُعد من أخطر مسبّبات تلف المخطوطات. كما صُممت بطبقات متعددة ومساند



داخلية تمنع حركة المخطوط أو احتكاكه، ما يجعلها وسيلة حفظ علمية متقنة تتماشى مع أحدث معايير صيانة التراث العالمي.

وتتميز هذه الصناديق كذلك بزخارف مستوحاة من الفن الإسلامي، تعتمد الأنماط الهندسية والنباتية، ما يجعلها وحدات جمالية متكاملة.

الجمال والوظيفة في خدمة التراث

تنفرد الصناديق المتحفية التي طورتها الخزانة العلوية بجمعها بين المظهر الجمالي والوظيفة الحافظة. فقد اعتمدت ألوانًا ثابتة لا تتأثر بالضوء أو الزمن، واعتمدت مقاسات دقيقة تتناسب مع كل مخطوطة على حدة، ما يتيح تصفحها وتصوير أوراقها من دون الحاجة لإخراجها بالكامل من الصندوق. وتُعد هذه ميزة مهمة، لأنها تقلل من مخاطر الانثناء أو الاحتكاك أو التلف نتيجة التناول المتكرر[٦].

معايير علمية دقيقة للحفظ المستدام

جاءت هذه الخطوة بالاعتماد على معايير عالمية في علم صيانة المخطوطات، منها:

* استخدام مواد غير حمضية ومقاومة للتلف.
* ضمان استقرار البيئة الداخلية من حيث الحرارة والرطوبة.
* الحماية من الضوء المباشر والأشعة فوق البنفسجية.
* الحد من العوامل الميكروبية عبر عزل محكم ومنع الرطوبة.
* تصميم داعم داخلي يحفظ المخطوط من الحركة والصدمات.

وتنسجم هذه الأساليب مع توصيات منظمة اليونسكو واللجنة الدولية لصيانة التراث المكتوب (IFLA-PAC))[٦].



خاتمة

إن الخزانة العلوية التي هي ضمن حجر مرقد أمير المؤمنين عليه السلام في النجف الأشرف ليست مجرد مستودع للمخطوطات، بل مؤسسة حضارية تؤدي دورًا مركزيًا في صون التراث الإسلامي.

وتُمثّل الصناديق المتحفية النفيسة التي اعتمدتها الخزانة أنموذجًا متطورًا يجمع بين العلم والفن، ويضمن انتقال هذا الإرث المعرفي العظيم إلى الأجيال القادمة بثبات وأمان.

وقد أكدت هذه الجهود أن الحفاظ على المخطوط ليس مجرد عملية تقنية، بل هو مسؤولية حضارية وثقافية تُحمّل الأجيال واجب صيانة الذاكرة الإنسانية.

---

١. عبد الهادي الفضلي، تاريخ المكتبات في الإسلام، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٤، ص ١١٢–١١٨.

٢. محمد المنوني، الوراقة المغربية، الجزء الأول، الرباط: منشورات كلية الآداب، ١٩٨٥، ص ٦٧–٨٥.

٣. فؤاد سيد، فهارس المخطوطات الإسلامية ومناهج تحقيقها، القاهرة: دار التراث، ١٩٧٥، ص ٥٤.

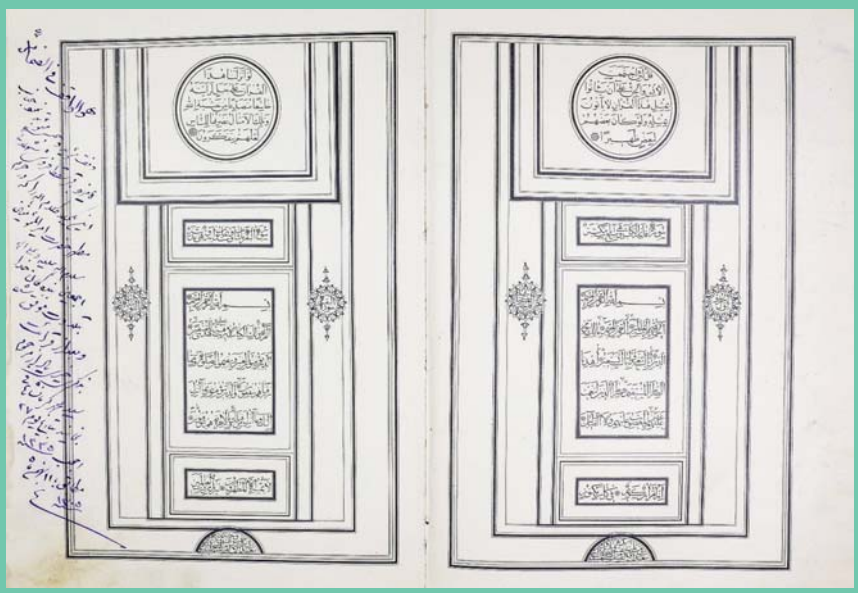
٤. Robert Fuchs, Preservation of Manuscripts and Rare Books, UNESCO Publications, 1998, pp 43–51.

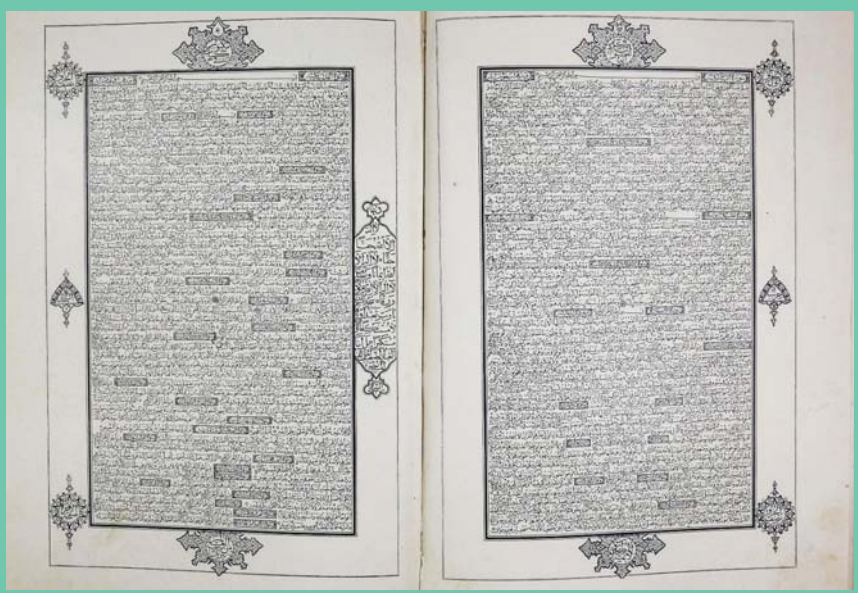
٥. علي محفوظ، التراث المخطوط: صيانته وترميمه، بغداد: المجمع العلمي العراقي، ١٩٩٩، ص ٢٠٣–٢١٠.

٦. IFLA-PAC, *Guidelines for the Preservation of Rare Manuscripts*, ٢٠١٧, pp. ١٠–١٥.

مخطوطات وكتب نفيسة في الخزانة العلوية

نسخة من المصحف الشريف بطباعة قديمة ونادرة، لا تقرأ بالعين المجردة لصغر حجم الخط ودقته. وتمتاز بوقفية للحرم المطهر لأمير المؤمنين يعود تاريخها إلى ١٣٤٥ هـ.





حوار العدد

- حوار مع المفكر الجزائري الدكتور يحيى أبو زكريا

حاوره : هاشم محمد الباججي



في حواره مع مجلة الولاية

المفكر الجزائري الدكتور يحيى أبو زكريا: تضطلع العتبات المقدسة في العراق بأدوار حضارية كبيرة، لمواجهة التحديات الحضارية وإفرازات العولمة السلبية ومحاولات الحروب الناعمة، لفصل الشباب العراقي عن إرث آل محمد عليهم السلام

حاوره : هاشم محمد الباججي

يتسم المفكر غالباً بسعة الأفق لأن التفكير هو رديف للأفق الواسع، ولاسيما الفكر الحرّ، فكثير من المفكرين الأحرار دفعوا حياتهم قرباناً على مذبح حريّة الرأي، بصوتهم المسموع وليس همساً، وبقوّتهم من غير استكانة أو ضعف، وبآرائهم وأفكارهم الحرّة بدون تزلف او نفاق، وهذا ما لمسته ووعيته في أسلوب المفكر الجزائري الدكتور يحيى أبو زكريا في جلسة حوارية مميزة، أقامتها مؤسسة المكين للعلوم والمعارف، فبعد الانتهاء من الجلسة حييت الدكتور أبو زكريا وأبلغته برغبة هيأة تحرير مجلة الولاية بإجراء لقاء خاص للمجلة مع شخصه الكريم، فأجاب يسعدني ذلك، وهذا نص اللقاء:

من هو يحيى أبو زكريا؟

مواليد ٢٣ سبتمبر- أيلول ١٩٦٤، في منطقة باب الوادي بالجزائر العاصمة، متخصص في العلوم السياسية، وحصلت على دكتوراة بأطروحة عنوانها: (الجزائر من بن بلة وإلى بوتفليقة) عام / ٢٠٠٠ م في السويد، وقد تخصصت في علم اللاهوت في جامعة أوبسالا السويد – Teologie ١٩٩٩.

ما أبرز الشهادات التي حصلت عليها والمناصب التي تقلدتها؟

بحمد الله وفضله حصلت على أرفع شهادة في التدريب الإعلامي والإستراتجي، وفي الدراسات العليا في الشريعة الإسلامية، وشهادة عليا في علم المجتمع من السويد، وشهادة عليا في اللغة السويدية، وشهادة عن الدراسات الإسلامية في جامعة أوبسالا السويد.

تقلدت منصب عضو اتحاد الكتّاب في السويد، وعضو جمعية المراسلين الصحفيين في السويد، التي مقرها في وزارة الخارجية السويدية، وعضو نادي القلم الدولي فرع ستوكهولم، وترأسّت النادي الثقافي العربي في السويد وأحد مؤسّسيه، ورئيس جمعية حوار الثقافات في السويد، كما عملت مستشاراً إعلاميّا وسياسيّا لجريدة أنوار الحق الجزائرية، ومعلقّا سياسيّا في جريدة اللواء البيروتية بين ١٩٩٢ – ١٩٩٧، وأيضاً سكرتير تحرير في مجلة الوثيقة الإسلامية الإستراتيجية / بيروت–لبنان، وكاتباً ومراسلاً لكثير من الجرائد والمجلات والمواقع الإعلامية البارزة.

ما أبرز المجلات التي كتبت فيها مقالاتك؟

كتبت في كثير من المجلات والصحف المهمة منها: جريدة الحياة- لندن، جريدة القدس العربي- لندن، جريدة السفير–بيروت–، الديار–بيروت–، نداء الوطن – بيروت، وفي جريدة الشرق الأوسط، وفي جريدة أخبار الأسبوع الناطقة باللغة العربية التي تصدر في أميركا، وكتبت في جريدة المحرر الالكترونية التي تصدر في أستراليّا، وفي مجلة أفق الثقافية السعوديّة، وكتبت في جريدة الجريدة الإلكترونيّة في الإمارات العربيّة المتحدة، وفي مجلة السياسي الكويتية، وقد كتبت في عشرات الصحف الجزائرية واللبنانية والعربية والغربية.

أهم مؤلفات المفكر الجزائري د.يحيى أبو زكريا؟

بفضل الله تعالى لدي العشرات من المؤلفات في المجال الفكري والسياسي والاجتماعي، وسأذكر عدداً منها: الجزائر من أحمد بن بلة وإلى عبد العزيز بوتفليقة، تونس من الثعالبي وإلى الغنوشي، زمن حسن نصر الله، المتحولون إلى الإسلام في الغرب. الإسلام والغرب، الغارة الأمريكية الكبرى على العالم الإسلامي، إستراتيجية الكيان الإسرائيلي لتدمير مصر، المقومات الحضارية في ثورة الإمام الحسين.

كيف ترى الواقع الفكري في العالم العربي؟

لم تتنكّب حالة في العالم العربي مثلما تنكبّت الثقافة العربية التي أصبحت كالقدس تماماً مهملة منسيّة ثانويّة بعيدة عن كل اهتمام رسمي وحتى جماهيري، ولموت الثقافة بكل تفاصيلها ومصاديقها أسباب كثيرة لعلّ أبرزها السعي الحثيث للنظام الرسمي العربي لوأدها وشنق منتجيها ومفعلّيها على شكل رواية ومقالة ومسرح وقصيدة ومناظرة ومجادلة وحوار وكتاب وما إلى ذلك من تمظهرات الثقافة وتجلياتها، والنظام الرسمي العربي المولع بالأحاديّة والشموليّة والبيداغوجيّة والدوغمائيّة أجهز على كل ما له صلّة بالإبداع وحصر الإبداع في الخطّ السياسي والإعلامي والإيديولوجي الذي يؤمن به، فالقصيدة التي لا تمجّد السيّد الرئيس هي قصيدة مشبوهة، والبيت الشعري الذي لا يسبّح بحمد هذا الملك وذاك الأمير البدوي ليس بيتاً من الشعر، ولا

يمكن أن يرى النور في فضائيات وإذاعات وصحف هذا الأمير وذاك الملك، والرواية التي لا تتحدث عن بطولات السيد الرئيس ومجد الحزب الحاكم وفتوحات النظام السيّاسي ليست رواية، والأغنية التي لا تمجّد السيد الرئيس الفاتح العربي صاحب النياشين الوهميّة ليست أغنية، والمقالة التي لا تركّز على الانتصار الحضاري والنهضوي الذي حققّه السيد الرئيس ليست مقالة...

وقد خلق النظام الرسمي العربي فضائيات تتناول الفنّ والفنانين أكثر مما تتناول الثقافة والمثقفين، وفي يوم من الأيّام كنت أتفاوض مع مدير تلفزيون عربي حول برنامج كان يفترض أن أنشّطه، فقال لي هامساً خوفاً من وجود أجهزة تنصّت داخل مكتبه إنّ الجهات العليا لا ترغب في مثل هذا البرنامج، فقلت له بصوت مرتفع طبعا إنّ الجهات العليا تشجّع العهر والدعارة الثقافية والفنيّة حتى يدوم حكمها، وهل طالت أعمارهم السيّاسيّة إلاّ بفضل سياسة التجهيل التي طبقوها ويكرّسونها في واقعنا كل واقعنا، وما زلت أتذكّر كيف طلب حاكم عربي من مخرج سينمائي أن يكثر من عدد المشاهد الرومانسية في أفلامه ومسلسلاته حتى تنطلق شهوات الناس إلى أبعد مدى، ومن ثمّ يتجنّب الناس التنكيت عن الحكومة وأدائها السياسي.

ما تقييمكم للخطاب الديني والثقافي في المجتمعات العربية والاسلامية؟

ج – تعاني المجتمعات العربية من أمراض اجتماعية فتّاكة وقاتلة وعلى رأسها العصبية والتعصب والإنغلاق على الدين والذات، وعلى الرغم من أن المجتمعات العربية كانت على الدوام متعددة دينياً ومذهبياً وفكرياً، إلا أن مرض التعصب واصل نماءه بسبب غياب مشروع تنويري عربي جامع، فمن أين جاء هذا التعصب وإقصاء الآخر و تكفيره أيضاً؟ أليس الدين يدعو إلى إحترام الإنسان وتقديس النفس البشرية والتعايش بسلام، قال الله تعالى في القرآن: ﴿**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا**﴾ وجاء في الكتاب المقدس (وَعَرَّفْتُهُمُ اسْمَكَ وَسَأُعَرِّفُهُمْ، لِيَكُونَ فِيهِمُ الْحُبُّ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي بِهِ، وَأَكُونَ أَنَا فِيهِمْ..)

وقد سيطر على المشهد العربي والإسلامي خطاب التكفير، الذي أضر إلى أبعد الحدود بثقافة التسامح والانفتاح على الآخر، ويُعد التكفير منهجاً ومذهباً وإتجاها لازم ظهور الإسلام، وكان يقوى ويضعف تبعاً لتطورات الأحداث في جغرافيا الإسلام.. فالشهرستاني في كتابه الملل والنحل الصفحة ١٠٦ قال: إن الخوارج وهم من كان مع علي في معركة صفين وخرجوا عليه بسبب التحكيم، وعلى رأسهم الأشعث بن قيس ومسعر بن فدكي التميمي وغيرهما، وقال: إن الخوارج كفّروا مقترفي الكبيرة وأخرجوهم من الملة... وتوضح بعض النصوص أن التكفير بدأ مع ذي الخويصرة التميمي الذي قال لرسول الله ﷺ اعدل يا رسول الله، فقال: «ويحك! ومن يعدل إن لم أعدل»؟! إلى أن قال رسول الله إن له أصحاباً يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية.. وقد أدى اختلاط الغث بالسمين، وخلط النص بالإيديولوجيا والرأي والهوى والقياس والجهل والخروج من التنزيل إلى التأويل وترك المنطلقات الشرعية لفهم النص وما يصاحبه إلى إنتاج موروث إسلامي استعلائي تكفيري، وبنى عليه كثير من السلف وكثير من الخلف الذين أوغلوا في دماء المسلمين... و أشار إليه حبيب القلوب ﷺ بقوله: ((سيخرج قوم في آخر الزمان احداث الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم يوم القيامة))

فابن تيمية الحراني قبل سبعة قرون اتخذ من هذا الفكر مرجعاً لتبرير تشدده وتطرفه، و مازال فكر هذا الفقيه

وفتاويه مثاراً للجدل بين جمهور فقهاء الإسلام، فأنصاره يعتبرونه مجدداً أحيى الدين، وخصومه يصفون فكره بالغلو والتشدد وإنتاج الفتنة الكبرى في العالم الإسلامي، ومن أحمد تقي الدين أبو العباس بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله بن تيمية الحراني وإلى محمد بن عبد الوهاب ومنه إلى سيد قطب وأبي الأعلى المودودي تطور هذا الفكر وأصبح دولة وخلافة وجماعة وفصيلاً ولواء وجامعة ومدرسة.

برأيكم هل يختلف الخطاب الثقافي في الغرب عن الخطاب الثقافي في الشرق؟

إن الحضارة لا يمثلها الغرب أو الشرق، الحضارة إرث إنساني، ويشترك فيها كل البشر وعندما سعت الحضارة لتتعسكر في إنسان أبيض أو إيديولوجيا مقيتة سقطت وتلاشت.. وعلى الرغم من المساحة الهائلة من الحرية السائدة في الغرب والتي بموجبها يحق لكائن من كان أن قدّم ما يريد من رؤى وأفكار وأيديولوجيات، وعلى الرغم من فسيفسائيّة الخارطة الثقافية وتنوع التضاريس الفكرية في الغرب، إلا أنه ولحدّ الآن لم يقم حوار جدي وعقلاني بين الثقافة الغربية والثقافة العربية، وتبقى بعض مهرجانات التقارب بين الثقافتين التي يحييها أحيانا معهد العالم العربي في باريس على وجه التحديد مجرّد محاولة لتزيين الديكور الثقافي الغربي، وليقال أن هناك تفاعلاً بين الثقافات والحضارات وواقع الأمر غير ذلك تماما، فالثقافة العربية غائبة أو مغيبّة ولا وجود لمفرداتها في الواقع الثقافي الغربي، وهذه الغيبوبة مردّها إلى أننا لم نعرف ولم نستوعب ذاتنا، ومن ثَمّ صعب علينا استيعاب الآخر الغربي والتسلل إلى حصونه، فعلى صعيد المعرفة الإنسانية نحن غائبون بالمطلق عن كل خرائط المعرفة الغربية، وغيبوبتنا هذه لا تعني مطلقاً أن مطابخ الأفكار والتاريخ والحضارات في الغرب لا تعرف عنا شيئاً، بل أنّ هذه المراصد غارقة إلى النخاع في دراسة تفاصيل تفاصيلنا، على العكس منا فإننا لا نعرف إلا بعض الكليات والبديهيات عن الآخر الغربي، والإشكال البارز الذي يتبادر إلى الذهن ونحن نناقش مسألة الحوار بين الثقافة الغربية والثقافة العربية هو ما الثقافة التي يجب أن نقدمها للآخر الغربي، فلحدّ الآن لم نوفّق في صياغة أطروحة ثقافية تكون قادرة على مجابهة تحديات العولمة وإفرازات عصر الانترنت، وعندما هاجر العقل العربي والإسلامي إلى الغرب، فإنه حاور العقل الغربي بمنطق مذهبي وطائفي وايديولوجي وعشائري ومناطقي وجهوي وديني واثني، ولذلك صعب على العقل الغربي تفهم هذا العقل الوافد، لأنّه يخلط بين الكليّات والجزئيات وبين النص والاجتهاد، وبين العقل والنقل، والماضي والراهن... وما الى ذلك من الثنائيات، وعلى العكس من ذلك فان العقل الغربي يواجه غيره بمنظومة فكرية وأطروحة معرفيّة واحدة في كثير من تفاصيلها، ومردفة بانتصارات تقنية ونهضوية قد يحتاج العالم العربي والاسلامي الى سنين ضوئيّة لتحقيق بعضها.

وهل يختلف الخطاب الثقافي عن الخطاب الديني في المجتمع؟

تقاس الديناميكيّة النهضويّة والتنمويّة والملامح المستقبليّة في أي حقل جغرافي يقطنه مجموعة بشريّة بالإستراتيجيّة المتبعة، التي وضعها مجموعة من الناس لديهم قدرة خارقة على صناعة القيمومة الحضارية ومن شروط نجاح هذه الاستراتيجيّة وفعاليتها توافق هذه الإستراتيجيّة مع التركيبة الاجتماعيّة والخصائص الثقافيّة لهذه المجموعة البشريّة أو تلك، وبهذا المنطلق نضمن أن تكون الاستراتيجية منسجمة مع الواقع

الاجتماعي ومستوعبة له، وفي الأغلب موجهّة له باتجاه الأهداف الكبرى المرسومة وبدون ذلك تكون الإستراتيجيا مجرد يوتيبيا لا وجود لها إلا في بعض النتاجات الأدبية والفكرية، وهي كثيرة إلى أبعد حدّ في التراث البشري.

لكن هل نملك نحن في واقعنا العربي والإسلامي وفي دول العالم الثالث استراتيجيّة، حتى نضع أنفسنا هاهنا في موضع المقارنة مع الآخر الذي نعني به الكتلة الغربيّة على وجه التحديد!

ولماذا يستمر الفكر العربي وحتى الإسلامي ويسترسل في التركيز دائما على الثنائيات من قبيل الأصالة والمعاصرة، النقل والعقل، النص والاجتهاد، التعريب والتغريب، السلفيّة والتنوير ،الإسلام والعروبة، وصولا إلى استراتيجيتنا واستراتيجيتهم أي نحن والأخر! ألسنا في ألفية العولمة والقرية الكونية، وذلك يستوجب إلغاء الخصوصيات وما به تتحدد الهويّة، وإذا كنا بلا استراتيجيّة فلا بأس بالاقتباس، ما دام العقل العربي والإسلامي تعطل مع رحيل أبي علي بن سينا!!

وسأذكر الملاحظات المهمة للفرق بين الغرب والشرق منها:

-كل التراجع في خط الجنوب وكل التقدم في خط الشمال.

-ثمانون بالمائة من البشر يقطنون في خط الجنوب وعشرون بالمائة في خط الشمال.

- جنوب مستهلك وشمال منتج.

-أغلبية خط الجنوب تعيش في خضم كل المعضلات البشريّة التي عرفها الإنسان منذ وجد على هذه البسيطة، وأقليّة في الشمال تتمتع بكل ملذات الدنيا.

-أغلبية في خط الجنوب تعيش على وفق لهجات لا علاقة لها بلغة التقنية، وأقلية في خط الشمال نسيت لغتها – استعملنا لفظ النسيان تجاوزا وإلاّ فهي تعض



بالنواجذ على لغتها- وتفاعلت مع لغة الأرقام المنتجة، التي بفضلها تحوّلت الطبيعة ومواردها إلى بضاعات تسوّق إلينا بالعملة الصعبة.

والملاحظ أنّ هذا الانتصار الحضاري للكتلة الغربية بات مقرونا ببعد إيديولوجي، يراد تعميمه على واقعنا العربي والإسلامي، ويخشى أن ينتهي بنا المطاف على الأمد البعيد إلى فقدان الإستراتيجيا والإيديولوجيا على حدّ سواء، فنبقى مهيضي الجناح، نتفرّج على غيرنا وهم يصنعون الحاضر والمستقبل، فيما نكتفي نحن ببعض الإنجازات التاريخية والماضيّة!!!

برأيكم على من تقع مسؤولية النهوض بواقع الخطاب الفكري والديني والثقافي؟

سيأتي اليوم الذي ينهض فيه العالم الإسلامي مؤديّا دوره في توجيه الحضارة الإنسانيّة، هذه الحضارة التي تعيش أزمات في مختلف الصعد والمجالات، وقد بدأ غير واحد من المفكرين يتحدث عن الأدوار الحضارية المستقبليّة للصين واليابان والعالم الإسلامي، لكن

هذه التنبؤات الجميلة لا يجب أن تنسينا واجب إعداد المشروع النهضوي والحضاري الذي سنتقدّم به للعالم، وقد مرّت بالعالم الإسلامي حقب مظلمة أودت به إلى الهاوية في شتى المجالات الاقتصادية والسياسية والثقافية والعسكرية، وبسبب هذا التخلّف ما زال العالم الإسلامي يعيش ذروة الانحطاط، وقد نظر كل مفكّر إلى وضع الانحطاط من زاويته الخاصة، فمنهم من أشار إلى تخلف المشروع التربوي، الذي أدّى إلى التخلف العام، وآخر نسب التخلف إلى الحركة الاستعمارية، وما إلى ذلك من الطروحات، إلّا أنّ كل المفكرين يتحدثون عن ضرورة النهضة واليقظة.

وعندما نتكلم عن النهضة لا يجب أن يأخذنا الحماس ونلقي الكلام على عواهنه ونقول: إنّ النهضة في العالم العربي والإسلامي سهلة المنال وهي قريبة التحقيق، من دون أن نأخذ في الحسبان الشروط الموضوعية للنهضة، والمفكّر الجزائري مالك بن نبي عندما حدّد معادلة النهضة والحضارة قال: إنّ الحضارة عبارة عن إنسان – وقت – تراب.

"لقد ظلّ العالم الإسلامي خارج التاريخ دهراً طويلاً، كما لم يكن له هدف، استسلم المريض للمرض، وفقد شعوره بالألم حتى كأنّه يؤلّف جزءًا من كيانه، وقبيل ميلاد هذا القرن سمع من يذكّره بمرضه، ومن يحدثّه عن العناية الإلهيّة التي استقرّت على وسادته، فلم يلبث أن خرج من سباته العميق ولديه الشعور بالألم، وبهذه الصحوة الخافتة تبدأ بالنسبة للعالم الإسلامي حقبة تاريخية جديدة يطلق عليها النهضة".

ولا يمكن لهذه النهضة المرتقبة أن تكون سريعة التحقيق، لأنّ تراكمات التخلف باتت متجذرّة في واقعنا العربي والإسلامي، وما جرى لحدّ الآن في اتجاه النهضة هي محاولات فكرية لرسم استراتيجية النهضة وطرقها.

ما مدى تأثير الصراع الطائفي في الواقع الفكري للمجتمعات؟

يزدحم تاريخنا العربي والإسلامي بمصاديق متعددة للاستئصال والإقصاء والكراهية، ومن الخطأ بمكان أن نقدم تاريخنا العربي والإسلامي كما لو أنه نص مقدس، فإضفاء القداسة على التاريخ تحول دون أن نتعلم من أخطائه ودون أن نقوّم الاعوجاج في الراهن والمستقبل، فالدكتور راشد المبارك في كتابه فلسفة الكراهية يقول إن أكبر العوامل التي حصدت بسببه نفوس وأريقت دماء وأزهقت أرواح هو عامل الكراهية على مدى التاريخ، وأن فرسان الكراهية لم يجدوا وقوداً أفعل ولا سلاحاً أقتل من النار التي تشعلها الكراهية وتتغذى بها، لقد كانت الكراهية هي النار والوقود والسلاح والذخيرة التي فتك بها أو بسببها أعداء البشر بضحاياهم وأبادوهم، أما الدكتور عبد الحميد الأنصاري في كتابه ثقافة الكراهية فيذهب إلى القول بأن الإرهاب سببه تجذُّر ثقافة الكراهية في المجتمعات العربية، وذلك بسبب الإسلام التكفيري المتشدّد، الذي رسّخ مفاهيم وقيماً موروثة عن السلف تدعو إلى الكراهية وانبلاج الإسلام السياسي الذي شتت الأمة الإسلامية... لقد تجذرت ثقافة الكراهية في بيئتنا الإسلامية، فبتنا نكره الآخر المسلم أو المسيحي على أساس جهوي ومناطقي وعشائري ومذهبي وديني... وتحولت تلك الكراهية إلى دين حقيقي وحكم شرعي يلتزم به كثيرون... وقد حوّل هؤلاء الكارهون الدين الإسلامي إلى ملكية خاصة بهم... فهم المؤمنون وغيرهم الكفار الفجار الأنجاس... و تنص القاعدة الحضارية أن الشعوب كلما تحضّرت وتعقلنت أصبحت أكثر قابلية للتعايش مع بعضها البعض ومع الآخر، ووجود ثقافة الكراهية في دائرتنا العربية والإسلامية معناه أننا عصاة على التقدم والازدهار والتحضر... وثقافة الكراهية التي دمرتنا

في التاريخ بات لها فقهاء وشيوخ وعلماء يروجونها بين الأجيال إلى درجة أنهم غسلوا أدمغة الشباب العربي والمسلم وأقنعوهم بأنه بينهم وبين الجنة تفجير في مسجد أو كنيسة أو حسينية أو دار عبادة... ولماذا ما زالت بعض المنابر تصدح بالكراهية، فالشافعية كفار والمالكية زنادقة والصوفية خارجون عن الملة، والأشاعرة مجوس، وزاد إمام مسجد معروفه بقوله: اللهم مكنا من الشيعة حتى نخوض في دمائهم إلى الركب... آن الأوان أن نلغي بالكامل من موروثنا وراهننا ثقافة الكراهية والإقصاء والاستئصال، هذه الثقافة الاستئصالية التي جعلت عالماً مشهوراً وداعية معروفاً يقول بأنه يقدر السياسي المسيحي فارس الخوري ونزاهة القاضي الدرزي عارف النكدي، لكنه لا يصافحهما. يفضل أن يصافح إندونيسياً مسلماً ولو كان على بعد آلاف الأميال.

هل تؤمن بالحوار؟

أنا كنت دائماً مع الحوار الهادف والبناء والاحتجاج الفلسفي والجدلي وهذا لن أحيد عنه ما حييت، وهذا لا يعني أنني أقبل النفاق الفكري أو المداهنة، فأنا لا أداهن ولا أماري، معروف في الجزائر والمغرب العربي والعالم العربي والإسلامي، أنني رجل صادق اللهجة، رجل لا يؤمن بأنصاف الجمل، وأثلاث الكلمات، أنطلق مما قاله الشاعر الفلسطيني الراحل معين بسيسو:

هي كلمة إن قلتها تموت.

إن لم تقلها تموت.؟

إذن قلها ومت.

ولن أتهاون في الكشف عن ظالم، أو الانتصار لمظلوم، حتى لو كان هذا المظلوم في جبال الأمازون، وأعالي جبال الهمالايا.

ما رأيكم بما تشهده العتبات المقدسة من نهوض فكري وثقافي؟

تضطلع العتبات المقدسة في العراق بأدوار حضارية كبيرة لمواجهة التحديات الحضارية وإفرازات العولمة السلبية ومحاولات الحروب الناعمة لفصل الشباب العراقي عن إرث آل بيت محمدﷺ، وكل ما تحتاجه هذه العتبات المشاريع الثقافية المستدامة والمتقدمة والتي تأخذ بعين الاعتبار الواقع العراقي، والاستثمار في الإعلام والإعلام البديل والرقمي، وبدون ذلك تجف الشجرة، لأن الإعلام هو بمثابة الماء لأي نبات فكري وحضاري، فلا يمكن لأي حركة سياسية أو فكرية أو اقتصادية أو نهضوية أن تكون فاعلة ما لم تكن مقرونة باستراتيجية إعلامية توصل تفاصيل هذه الحركة إلى الفرد كما المجموع وتحرّك الطرفين معا باتجّاه أهدافها الكبرى، والإعلام بالنسبة للفكرة العملاقة والمغيّرة والمؤثرة بمثابة الماء للنبتة التي تأخذ منه أسباب النمو، فالانطلاق في الاتجاه العمودي إلى أن تصبح هذه النبتة كالنخلة الباسقة، جذرها في الأرض وفرعها في السماء، فالإعلام هو صلة الوصل بين الأفكار الكبيرة والمجموعات البشريّة التي يفترض بها أن تضطلع بعملية البناء والتغيير في ضوء هذه الأفكار، بل أنّ الدنيا تدور على عجلة الإعلام، فهو الذي بات يصيغ الرؤى والتوجهات والتيارات وأصبح مرجعا في قراءة المشاهد السياسية والثقافية والإستراتيجية.

و تحتاج العتبات إلى تفعيل:

-المشاريع الثقافية المدروسة.

-الإعلام الإستراتيجي الذي يعتمد على رؤية برامجية ثاقبة.

-إقامة الدورات الإعلامية والثقافية لتطوير كوادر العتبات.

وهذه العتبات هي الأمل الحقيقي لنهضة العراق علمياً وحضارياً.

ذاكرة الأمم

الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في مصادر التراث الأندلسي

أ.د.حيدر عبد الحسين زوين
جامعة الكوفة - كلية الآداب



الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في مصادر التراث الأندلسي

أ.د. حيدر عبد الحسين زوين
جامعة الكوفة - كلية الآداب

لقد حرص الأندلسيون في التواصل مع المشرق العربي ؛ نظراً إلى أن معظم الجند المحررين للأندلس في سنة ٩١هجرية كانوا من أهل العراق، الذين عبروا إلى هذه الجزيرة، إذ كانوا بقيادة موسى بن نصير البكري وهو من أهالي كربلاء المقدسة[١].

وقد أسهمت جهود بني حمود الحسنية النسب في القرن الرابع الهجري، وتحديداً في سنة ٣٥٠ هجرية في إنشاء إمارة شيعية في قرطبة، وكان الأمير علي بن حمود يجيد اللغة البربرية، إذ تشيع في عدد من قبائل البربر[٢].

إنّ اهتمام الأدباء وممن كتبوا في التاريخ في الأندلس بمظلومية آل البيت عليهم السلام ومسألة خلافة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله جعل من هؤلاء الأدباء يصوغون آثارهم الشعريّة والنثريّة في هذا الموضوع العقدي الدقيق، ولاسيما حديثهم عن أصحاب الكساء عليهم السلام ومن ضمنهم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وقد برز عدد كبير منهم: (ابن عبد ربه الأندلسي، وحازم القرطاجني، ولسان الدين بن الخطيب، ومحمد بن هانئ الأندلسي، وأبو عبد الله محمد بن الأبّار البلنسي القضاعي المتوفى سنة (٦٥٨ هجرية)، وأبو البقاء الرندي[٣].

وقد كان من ثمرة هذا النتاج الأدبي والتاريخي الوفير عدد

كبير من الآثار الأدبيّة والتراثية، التي مجّدت الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، وخلدته وأشادت بمواقفه البطولية ومناقبه ومآثره وشجاعته.

وكان من نتائج هذا التعاطف والاندماج والتأثر بتراث أهل البيت عليهم السلام ومواقفهم وبطولاتهم موقف الأديب ابن شهيد القرطبي المتوفى سنة (٤٢٦هجرية) مع حكم بني حمود الشيعة الحسنية، ودولتهم الفتيّة التي أنشئت في قرطبة منتصف القرن الرابع الهجري، كما أن الشاعر الكفيف أبا محمد بن سليمان القرطبي المكنى بـ(ابن الحنّاط)، قد أبدى إعجابه بحكم بني حمود في قرطبة، وأنشد قصيدةً في مديحهم[٤].

الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في التراث الأندلسي:

إن التراث الأندلسي قد حمل إلينا في مصادره المختلفة ذكر الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، وقد جاء ذلك في المصادر النثرية الآتية:

١-ابن عبد ربه الأندلسي[٥]:

تحدث في المجلد الأول من كتابه العقد الفريد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إذ تتضح من ذلك معالم شجاعته في قوله على لسان الحسن البصري: (كان علي بن أبي طالب سهماً صائباً من مرامي الله على عدوه، و ربانيّ هذه الأمة وذا فضلها و سابقتها، و ذا قرابة قريبة من رسول اللهّ صلى الله عليه وآله، لم يكن النّومة عن رسول الله، و لا الملولة في ذات الله، و لا السّروقة لمال الله؛ أعطى القرآن عزائمه ففاز منه برياض مونقة، و أعلام بينة، ذلك عليّ بن أبي طالب))[٦].

٢-الشريف الإدريسي[٧]:

وقد ذكر مرقد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عند حديثه عن مدينة الكوفة، في كتابه نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، إذ ذكر قبته الشامخة ومعالمه الشاخصة ومكانه السامي وقد وصفه بقوله: ((وعلى ستة أميال من الكوفة قبّة عظيمة مرتفعة الأركان من كل جانب لها باب مغلق وهي مستورة من كل ناحية بفاخر الستور وأرضها مفروشة بالحصر السامانية ويذكر أن بها قبر علي بن أبي طالب، وما استدار بالقبة مدفن لآل أبي طالب وهذه القبة بناها أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان في دولة بني العباس وكان قبل في دولة بني أمية مخفياً))[٨].

٣-ابن الأبار القضاعي:

لقد تواشج تراث أمير المؤمنين عليه السلام مع الوقائع التي مر بها، والمآسي التي جرت في تلك الحقبة في ذاكرة الفقهاء أيضاً، وقد ألّف بعضهم كتباً ارتبطت عناوينها بآل البيت عليهم السلام، ومن هؤلاء ابن الأبّار القضاعي الأندلسي[٩]. الذي ألف أكثر من مائة وخمسين مؤلّفا قيل أن معظمها حرق مع جسده الشريف منها ؛ بسبب تشيعه، ومنها كتابه الشهير: (درر السمط في خبر السبط) الذي سلط الضوء فيه على آل البيت، وما أصابهم من رزايا وخطوب إذ يقول مفتخرا بالإمام علي بن أبي طالب: (لله علي علا عن النظراء، وسامى الزهرة بالزهراء. كان ثاني خديجة في الإيمان، وأول الذكور أسلم وجهه للرحمان، قبل ما سن الخطات، ولم تكن هذه السابقة لابن أبي قحافة وابن الخطاب. مت بالأبوة إلى النبوة، ثم حظي بالأخوة والبنوة. فلولا أن " لا نبي بعدي "نص في الامتناع، لكانت " أنت مني بمنزلة هارون من موسى، حجة في الاتباع)[١٠].

إن هذه الحقيقة الناصعة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام قد تمثلت في الكفاءة والنزاهة والأفضلية على سائر المسلمين، فقد انماز عليه السلام بسابقة الإسلام والجهاد فكان أول المسلمين من رجال مكة الذين آمنوا حينما بشّر رسول الله صلى الله عليه وآله بالإسلام وثانيهما بعد أم المؤمنين خديجة بنت خويلد (رضوان الله تعالى عليها)، وقد ذكرت المصادر التاريخية أنه كان شاباً يافعاً، إذ لم تكن هذه الخصال والمناقب للخليفتين الأول والثاني، فضلا عن ذلك فقد تضمن هذا النص أيضاً مؤاخاة الرسول صلى الله عليه وآله للإمام أمير المؤمنين بعد دخول الرسول الأعظم

إلى المدينة، مستشهداً بقول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: ((أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي))[11].

خاتمة المقال ونتائجه

وبذلك فقد ثبت الأثر المشرقي لسيد البلغاء والمتكلمين الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في مصادر التراث الأندلسي في تلك الحقبة، فكان هذا الاثر الكبير لأسد الله الغالب نتيجة لتأثر أهل الأندلس بآل البيت عليهم السلام، وذلك بسبب الرزايا والمصائب التي تعرضوا إليها بعد وفاة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله ومنها مسألة الخلافة التي تعلقت بالإمام أمير المؤمنين وما تقدّم من نصوص لا تشكل سوى نسبة قليلة مما ذكره الدارسون الأندلسيون في حقلي التاريخ والأدب، لذا فإن العصور المتتالية في تاريخ هذا الجانب قد زخرت بنصوص كثيرة لا يتسع المقال لذكرها .

١.محمود شيت خطاب، قادة فتح الأندلس: ١/ ١٥٨ .

٢.أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري: نهاية الأرب في فنون الأدب: ٢٣/ ٤٨٠ .

٣.ابن الأحمر، أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن: ٥٢٦ .

٤.كان متقدماً في الأدب والبلاغة والشعر، وشعره كثير مجموع مدح الملوك، الوزراء، والرؤساء وكان يناوئ أبا عامر أحمد بن عبد الملك بن شهيد بليغ وقته، ويعارضه وله معه أخبار مذكورة ومناقضات مشهورة، ذكره الحميدي، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة، أبو جعفر الضبي (ت ٥٩٩هـ): بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس: ٧٧ .

٥.العلامة الأديب صاحب كتاب العقد الفريد الذي يقع في ثمانية أجزاء أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حدير المرواني مولى هشام بن الداخل الأندلسي القرطبي . سمع بقي بن مخلد، وجماعة . وكان موثقا نبيلاً بليغاً شاعراً . عاش اثنين وثمانين سنة .وتوفي سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة، الذهبي: سير أعلام النبلاء: ١٥ / ٢٨٣ .

٦.ابن عبد ربه: العقد الفريد: ٥/ ٦٣ .

٧.هو محمد بن محمد بن عبد الله (عبد الرحمن) بن إدريس بن يحيى بن علي بن حمود (صاحب غرناطة في وقته) بن ميمون بن أحمد بن علي بن عبيد الله بن عمر بن إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم القرشي. ولقب بالصقلي،لأنه اتخذ جزيرة صقلية مكاناً له بعد سقوط الدولة الإسلامية. ولقب بسطرابون العرب نسبةً إلى الجغرافي الإغريقي الكبير سطرابون. وقد كان من أبرز الدارسين في علم الرياضيات.ولد في مدينة سبتة عام ٤٩٣ هـ، ومات عام ٥٥٩هـ، من مؤلفاته: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق . ينظر: عيّاض، القاضي: ترتيب المدارك، ٤/ ١٤٠ .

٨.الشريف الإدريسي: نزهة المشتاق:٢/ ٣٨١- ٣٨٢ .

٩.هو محمد بن عبد الله القضاعي البلنسي، الكاتب الأديب المعروف بابن الأبّار، ولد سنة خمس وتسعين وخمسمائة للهجرة، عَنِي بالحديث والرجال في الاندلس، وكتب العالي والنازل، وكان بصيراً بالرجال، عالماً بالتاريخ، إماماً في العربية، فقيهاً متفنناً، إخبارياً فصيحاً، له يد في البلاغة والإنشاء، كامل الرياسة، ذا رياسة وافية، وأبّهة وتجمل وافر.وله من المصنفات: (تكملة الصلة لابن بشكوال، ومعجم رجال أبي علي الصدفي، وكتاب تحفة القادم وكتاب ايماض البرق) .قُتل مظلوماً بتونس على يد صاحبها لأنه تخيّل منه الخروج وشق العصا، وكان ذلك في سنة ثمان وخمسين وستمائة، ينظر: الحنبلي، ابن العماد: شذرات الذهب في أخبار من ذهب: ٥/ ٢٧٥، والذهبي،سير أعلام النبلاء: ٢٣/ ٣٣٦ .

١٠.ابن الأبار ، درر السمط: ٧٩.

١١.البخاري: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة تبوك:ج٥/ ص١٢٩،وأبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري،كتاب الفضائل، باب من فضائل علي بن أبي طالب: ٥/ ٣٠١.

ميلاد أبي الفضل العباس عليه السلام

في اليوم الرابع من شهر شعبان سنة ٢٦ هجرية ولد أبو الفضل العباس، وهو من أبناء الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام[١].

وأمه أم البنين فاطمة بنت حزام الكلابية.

من ألقابه عليه السلام: أبو الفضل، قمر العشيرة،باب الحوائج، السقّا، أبو القربة[٢].

وكان العباس (سلام الله عليه) رجلاً وسيماً جميلاً يركب الفرس المطهّم ورجلاه تخطّان في الأرض، وكان يقال له قمر بني هاشم ، وكان لواء الحسين عليه السلام معه يوم قتل عليه السلام[٣].

وسمي السقّا،لأن الحسين عليه السلام عطش، وقد منعوه الماء، وأخذ العباس قربة ومضى نحو الماء وأتبعه أخوته ولد علي عليه السلام عثمان وجعفر وعبد الله،فكشفوا أصحاب عبيد الله بن زياد عن الماء، وملأ العباس عليه السلام القربة وجاء بها فحملها على ظهره الى الحسين عليه السلام وحده[٤].

وقد قتل أخوته في المعركة على الماء،ولم يكن لهم عقب وقتل بعدهم يومئذ، وخلف عبيد الله بن العباس عليه السلام[٥].

وقد كانت لأبي الفضل (سلام الله عليه) مكانة كبيرة في نفوس أهل البيت عليه السلام نراها من خلال أحاديثهم، التي تبين عظم فضائله وإخلاصه في الدفاع عن دينه وإمامه الحسين عليه السلام .

وقد روي عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنه قال: ((رحم الله العباس، فلقد آثر أبلى وفدى أخاه بنفسه حتى قطعت يداه، فأبدله الله بهما جناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنة، كما جعل لجعفر بن أبي طالب، وأن للعباس عند الله تبارك وتعالى لمنزلة يغبطه بها جميع الشهداء يوم القيامة))[٦].

وروي عن الامام الصادق عليه السلام قوله: ((كان عمنا العباس بن علي نافذ البصيرة، صلب الايمان،جاهد مع أبي عبد الله وأبلى بلاءً حسناً، ومضى شهيداً))[٧].

---

(١) المقرّم، قمر بني هاشم :١٨.

(٢) إبن إدريس، السرائر : ١/ ٦٥٦.

(٣) ابو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين : ٥٥.

(٤) عبد الحسين النيشابوري، تقويم الشيعة : ٢٢٢ .

(٥) الشيخ المفيد، الإرشاد : ٢/ ١٠٨.

(٦) الشيخ الصدوق، الخصال :٦٨.

(٧) ابن عنبة، عمدة الطالب: ٣٥٦.



يراع العلماء

- دور العلّامة الحلي في تشيّع السلطان خدابنده

الشيخ موسى الشيخ راضي نصار

- أمةٌ في قرطاسٍ .. صاحب الذريعة

الشيخ د. عماد الكاظمي

دور العلّامة الحلي في تشيّع السلطان خدابنده

الشيخ موسى الشيخ راضي نصار



للعلامة الحلي الحسن بن يوسف المطهر المتوفى سنة (٧٣٦هـ - ١٣٣٥م) الدور المهم في تشيّع السلطان محمد خدابنده - وهو من ملوك الاليخانية الذي حكم إيران في حدود القرن الثامن الهجري - كما ذكره ابن بطوطة، على أن العلامة هو السبب في تشيع خدابنده قال: فأمر السلطان بحمل الناس على الرفض، وكتب بذلك الى العراقيين، وفارس واذربيجان واصفهان وكرمان وخراسان.. وكان السلطان قد أمر بان تسقط أسماء الخلفاء وسائر الصحابة من الخطبة ولا يذكر إلا اسم علي عليه السلام ومن تبعه كعمار بن ياسر[١].

ولكن بعض المصادر تذهب الى أن العلامة الحلي رحمه الله كان سبباً في إسلامه فضلاً عن تشيعه، قال العزاوي: ولما اسلم السلطان خدابنده بعد ما كان كافراً أسلم بإسلامه التتر حتى زاد في تعظيم هذا الفقيه – العلامة الحلي- فزين له مذهب الروافض وفضله على غيره وشرح له حال الصحابة والخلافة، وقرر لديه أن أبا بكر وعمر كانا وزيرين لرسول الله صلى الله عليه وآله وأن علياً ابن عمه وصهره فهو وارث الخلافة، ومثّل له ذلك بما هو مألوف عنده[٢].

انّ مثل هذا التصور القادح في دعوة العلامة للإسلام، قد لا يوجد في سير دعوته، وانما قد يكون مختلفاً تماماً عن سيرة الدعاة الأوائل إلى اللإسلام الذين اهتموا كثيراً بنشر الدين والتركيز على الابعاد العلمية والنفسية للمدعوين إلى الإسلام، ولا سيما اصحاب مراكز القرار للتغيير الاجتماعي، لذا وجد العلامة الحلي ضالته في السلطان خدابنده فكانت طريقته في الدعوة إلى التشيع ومناقشته مع نظام الدين عبد الملك الشافعي في مجلس السلطان لم يبحث مسألة من المسائل على سبيل التعصب مطلقاً، وانه كان يدعو (خدابنده) الشيعي إلى حب الصحابة كلهم[٣]، حتى تأثر به السلطان فأحب العلم والعلماء لدرجة أنه أمر بأنشاء مدرسة متنقلة من الخيام وعين بها مجموعة من الفقهاء على راسهم الشيخ جمال الدين الحسن بن المطهر الحلي، وأسكن في المدرسة قرابة مائة طالب، وهيا لهم ما يحتاجونه من الطعام واللباس والدابة وغيرها من الأشياء، ليكونوا في خدمة السلطان، وكذلك أنشأ مدرسة بالسلطانية في أبواب البر المباركة[٤].

ولما أثمرت جهود العلامة في دعوة السلطان (خدابنده) للإسلام ونشر التشيع في ربوع البلاد صنف عدداً من الكتب في العقائد وفي الإمامة واهداها له ومنها كتاب (نهج الحق وكشف الصدق)[٥] ونص في مستهل كلمة الإهداء على انه صنف الكتاب خشية لله ورجاء لثوابه وطلبا للإخلاص من أليم عقابه، بكتمان الحق وترك ارشاد الخلق وفي الوقت نفسه راعى فيه التقاليد السائدة آنذاك في الإهداء إلى الملوك والسلاطين وان يذكر خواص عمله قال: مثلت فيه مرسوم سلطان وجه الارض الباقية دولته الى يوم النشر والعرض، سلطان السلاطين، وخاقان الخواقين، ملك رقاب العباد وحاكمهم وحافظ اهل البلاد وراحمهم، المظفر على جميع الاعداء المنصور من إله السماء المؤيد بالنفس القدسية، والرياسة الملكية، الواصل بفكره العالي الى اسنى مراتب العلى، البالغ بحدسه الصائب الى معرفة الشهب الثواقب، غياث الملة والحق والدين (اولجايتو خدابنده محمد) خلد الله ملكه الى يوم الدين. وقرن دولته بالبقاء والنصر والتمكين وجعلت ثواب هذا الكتاب

واصلاً اليه[٦].

ولم يكتف العلامة الحلي بإهداء كتابه (نهج الحق) حتى اهدى اهم كتبه في العقائد وفي الإمامة (منهاج الكرامة) وقال في أوله: خدمت بها خزانة السلطان الأعظم، مالك رقاب الأمم ملك ملوك طوائف العرب والعجم مولى النعم، مدد الخير والكرم شاهنشاه المعظم، غياث الحق والملة والدين اولجايتوا محمد خلد الله سلطانه، وثبت قواعد ملكه وشيد أركانه، وامده بعنايته وألطافه، وأيده بجميل أسعافه، قرن دولته بالدوام، الى يوم القيامة[٧] كما اهدى إليه ايضا كتاب (كشف اليقين)، ولم يقتصر العلامة على اهدائه الى السلطان خدابنده فحسب وانما اهدى كذلك (الرسالة السعدية) الى احد اعضاء ديوان السلطان ويدعى (محمد بن علي ساوجي) الشهيد سنة (٧١١هـ - ١٣١١م) وزير خدابنده[٨] وكتب في مقدمتها بعد التعريف بالكتاب قال: يرسم المولى الاعظم والصاحب الكبير المعظم، صاحب ديوان الممالك شرقاً وغرباً وبعداً وقرباً، مالك السيف والقلم، ملجأ العرب والعجم، ملاذ جميع طوائف الأمم، مسدي الفواصل والنعم، محبي رفات المكارم والرمم، مميت البدع ودافع النقم، المؤيد بالإلطاف الربانية، المظفر بالعنايات الإلهية.

خواجة سعد الحق والملة والدين اعز الله تعالى بدوام دولته الإسلام والمسلمين، وشيد قواعد الدين ببقاء ايامه الزاهرة الى يوم الدين، وقرن احفاده بالنصر والظفر والتمكين، وختم اعماله بالصالحات، وأسبغ عليه من جلابيب المبرات وكساه حلل السعادات وافاض عليه من عظائم البركات، ووفقه لجميع الخيرات، بمحمد وآله الطاهرين، صلوات الله عليهم اجمعين.

لكن هذا لا يعني أن نتصور أن العلامة لم يكن جاداً في بعض ما ذكره من الالقاب، بل راعى التقاليد السائدة يومئذ، وهذا لا ضير فيه اذا كانت مثل هذه الالقاب تساعد على ترسيخ قواعد التشيع في تلك المجتمعات الإسلامية المتناحرة، لذا يمكن ان نتصور في هذا الإهداء كيف تحول التعالي العلمي والقيم الدينية العليا التي يحملها العلماء الاعاظم الى تحقيق مشروع عقدي على الارض خالصاً لوجه الله متجاوزا كل الرغبات الضيقة، ومثل هذا التصور الوظيفي للعلماء والعاملين في سبيل العدل والحق، ليس غريباً على العلماء الربانيين، الأوائل الذي نظروا لأصل المذهب مثلهم مثل ائمتهم عليهم السلام.

---

١. ابن بطوبة، رحلة ابن بطوبة: ٢٠٥ والشيعة في ايران: ٤٧٨.
٢. العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين: ١/ ٤٠٧.
٣. ابن حجر، الدرر الكامنة: ٤/ ٧١.
٤. رسول جعفريان، الشيعة في ايران: ٤٧٧.
٥. هذا الكتاب رد عليه العلامة الاشعري، الفضل ابن رزبهان، باسم (ابطال الباطل)
٦. مقدمة منهج الحق وكشف الصدق نقلاً عن الشيعة في ايران.
٧. مقدمة منهاج الكرامة للعلامة الحلي.
٨. اغا بزرك، الذريعة: ١٢/ ١٨٣.

أمةٌ في قرطاسٍ .. صاحب الذريعة

الشيخ د. عماد الكاظمي

إنَّ للخلود أسبابًا مختلفة، وأشرفها أنْ يكون في خدمة الأمة وحياتها، وإنقاذها من جهالة، وإخراجها من ظلمات إلى نور، وهذا سبيل العلم والعلماء الذين غَدَا مدادُهم أفضل من دماء الشهداء، وتبقى ذكراهم في آثارهم، كما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: ((وَالْعُلَمَاءُ بَاقُونَ مَا بَقِيَ الدَّهْرُ، أَعْيَانُهُمْ مَفْقُودَةٌ، وَأَمْثَالُهُمْ فِي الْقُلُوبِ مَوْجُودَةٌ)).

وشيخنا الطهراني آقا بزرك .. أحد مصاديق هذا الشرف والخلود، الذي بذل عمره من أجله، فسهر الليالي في البحث والتصنيف، وانتقل في البلدان في التقصّي عن قراطيس الأعلام، ولم يذق طعم الراحة والمنام ليورِّث للأمة كنزًا عظيمًا، وأتعب جوارحه فأحنى ظهره، وغارت عيناه، وضعفت يداه ليوثّق تاريخ أمة، وهذه صورة شاهدة على واحدة من ساعات جهاده من المهد إلى اللحد؛ ليسدَّ ذريعة كُلِّ متهاونٍ، أو متكاسلٍ، أو فارٍّ من الزحف في ساحة جهاد العلم ..

فكان من آثاره سِفره الخالد (الذريعة إلى تصانيف الشيعة) ليكون دالًا عليه، وعنوانًا على خلوده، بل اسمًا له يتردد على ألسن الأعلام، وفي كتابات المحققين، ومدرسة للباحثين عن الخلود في الأمة.

فالذريعة أحد سلسلة مؤلفات الأعلام الأوائل في هذا الباب (رحمهم الله) .. فهو:

كتاب يعرِّف عظمة صاحبه وجهده وجهاده في سبيل خدمة العلم والعلماء والباحثين ..

وكتاب لا يستغني أي باحث أو محقق عن مراجعته أو الاطلاع عليه ..

وكتاب هو مصدر مهم للتعريف بأعلام الطائفة وعلمائها وجهادها في نشر العلم ..

وكتاب موسوعة معارف في علوم شتى تغني الباحث عن مراجعة مؤسسات ومكتبات ..

وكتاب وثّق مكتبات عامة في أرجاء البلاد، ومكتبات خاصة ومخطوطات، لأعلام بعضها قد غيَّبتهم عاديات الزمان ..

وكتاب كان وسيبقى شاهدًا خالدًا على هِمَم الرجال الصادقين ما عاهدوا الله عليه ..

وكتاب هو حجة عظمى على المؤسسات والجامعات والمراكز العلمية التي تعمل بمجاميع من الرجال والأموال ..

وكتاب سيحكي للأجيال معنى كلمة العلم، وعظمة كلمة العلم، وإعجاز آثار العلم ..

وكتاب فضح أدعياء العلم القائلين أين علماء الشيعة؟!!

أو هل للشيعة علماء؟!!

أو هل هناك ما يدل على وجودهم؟!!

أو هل هم من المسلمين؟!!

أو .. أو .. فموتوا بغيظكم فهذا الذريعة ..

وكتاب سيفخر به العرب والعجم، ويحكي كلٌّ منهم مفاخره، وعظم رجاله ..

فهذه إشراقة من إشراقات شيخنا الطهراني عنوانها (أمة في قرطاس) فهنيئًا للأمة به .. وهنيئًا للأجيال به .. وهنيئًا للتاريخ به ..

وسلامٌ عليك شيخي وعلى ذريعتِك، التي أشرقت شمسها على أمة قرطاس، ورحمةٌ من الله وبركاتٌ.



أروقة الحرم

- مؤسسة المكين للعلوم والمعارف
  مشروع فكري نوعي قلّ نظيره



مؤسسة المكين للعلوم والمعارف
مشروع فكري نوعي قلّ نظيره

في خطوة رائدة تُعد الأولى على المستوى الفكري والثقافي في مدينة النجف الأشرف افتتحت العتبة العلوية المقدسة مؤسسة المكين للعلوم والمعارف .

ماهية المؤسسة ..

منصّة علمية وحوارية، تهدف إلى تقديم خدمات واستشارات أكاديمية وثقافية، لرفع الكفاءة وتعزيز الأداء.

هدفها ..

تُعد مؤسسة المكين للعلوم والمعارف منصة معرفية تهدف إلى دعم الدراسات والبحوث، وتقديم الاستشارات، واستقطاب الباحثين والمختصين، ضمن رؤية تسعى إلى تنشيط الإنتاج العلمي وإثراء النشاط الأكاديمي في المحافظة، فهي مؤسسة علمية حوارية تهدف الى تشكيل المفاهيم والأفكار بأسلوب علمي وموضوعي ينسجم مع حاجات الواقع، ويستند إلى قيم الإسلام الأصيلة ومنهج أهل البيت عليهم السلام .



الرؤى ..

وتقوم رؤية المكين على أن المعرفة جوهر يمحّص بالبحث والحوار ، وأن السؤال هو البوابة الأولى للحقيقة.

صناعة الوعي ..

وتعد مؤسسة المكين مشروعاً جاداً لصناعة الوعي وبناء المعرفة عبر ربط الفكر بالإنسان والعلم بالحياة في مسيرة مستمرة من الإبداع والنمو .

بين الأصالة والواقع ..

إذ تسعى المؤسسة إلى أن تكون في بيئة ابستمولوجية تتواشج فيها الأنساق والاتجاهات في فضاء حر يجمع بين الأصالة والواقع.

الافتتاح الرسمي ..

افتتحت المؤسسة بمناسبة ذكرى ولادة سيدة نساء العالمين السيدة فاطمة الزهراء (سلام الله عليها)، فكان الافتتاح الرسمي لها باسم الله تعالى وبركة الامام أمير المؤمنين والزهراء عليهما السلام، يوم ١٢/ ١٢/ ٢٠٢٥م ، إذ أقامت موسمها الحواري الأول بمشاركة نخبة من الأساتذة من داخل العراق وخارجه منهم د. إدريس هاني من المغرب ، د. يحيى أبو زكريا من الجزائر، د. أحمد راسم النفيس من مصر.


يا قائم آل محمد

مسابقة العدد 199

مسابقة علمية خاصة بهذا العدد،
يمكنكم الاشتراك بها إلكترونياً
عبر مسح الباركود أو عبر الرابط:

https://forms.gle/JCT6qnpAPB6ZRRg47

علماً أن أجوبة الأسئلة تجدونها في مقالات هذا العدد
آخر موعد للمشاركة يوم 15 رمضان المبارك
هناك هدايا مالية لثلاثة فائزين

تعلن أسماء الفائزين في
المسابقة عبر قناة مجلة
الولاية في التلكرام

